تاريخ الأديان

تاريخ ومعرفة الأديان

(مختصر)

الجزء الأول

تأليف
الدكتور علي شريعتي

الدرس الأول

الدرس الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن مسألة طرح الدين له أهميتان ودليلان:

الدليل الأول: هو أن المثقفون والجامعيون اليوم يرون أنفسهم معزولين عن الآخرين، وهذا خطأ كبير يرتكبه المثقفون.

وهذا الخطأ ليس في بلادنا فحسب، بل هو في العالم كلّه، ولأن أفراد المجتمع هم أعضاء ينتمون ويرتبطون بهذا المجتمع فهم جزء لا يتجزأ منه.

إذا نظرنا إلى المجتمع الإيراني، نرى أنه مجتمع عقائدي، وتاريخه هو تاريخ عقائدي وإذا عدنا إلى تاريخ إيران، لوجدنا أنه منذ أربعة عشر قرناً من القرون الإسلامية، وهو يقع تحت تأثير المسائل الدينية وخلال هذه المدة تكونّت هويته وبناؤه بهذا الشكل، وثقافة الشعب الإيراني، هي ثقافة دينية لم تكن ثقافة يونانية أو رومانية، ولا يمكن القول عنها أنها ثقافة غير دينية أو ثقافة قومية، فإن وجدان وروح مجتمعنا اليوم هو وجدان ديني مائة في المائة.

إن عاداتنا وتقاليدنا ومؤسساتنا الاجتماعية هي دينية.

فعلى المثقفين الذين هم مجموعة واعية وعالمة، أن يشعروا بالمسؤولية في هداية وتعليم المجتمع، وعليهم أن يفكروا بالوسائل التي تبني الجسور بينهم وبين مجتمعهم، والرابط والجسر الأقوى الذي يجمعهم والذي يجب أن يعتمدوا عليه هو الدين، هذا هو العامل والدليل الأوَّل.

أما الدليل الثاني: هي أن المثقفون عادةً لهم ارتباط آخر، وهو ارتباط روحي وفكري مع مثقفي العالم، وهم واقعون تحت تأثير الفكر والنظريات

العالمية. فمن الأمور المهمة لمعرفة الإنسان الحاضر علينا أن نبحث عن المفاهيم الدينية الأخرى السائدة في العالم، من النواحي السياسية والاقتصادية والفلسفية والعلمية والفكرية ولأن الدين أخذ مكانةً مهمة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

الإنسان اليوم لا يريد الرجوع إلى القرون الوسطى، وهو في سعي دائم للتكامل، وقد قطع شوطاً كبيراً في العلوم والحضارة فهو بحاجة ليعلم ما وراء هذه العلوم المادية، وهذا الأمر هو معنوي، وهذا ما يسمى بالدين.

ولكن المثقفين والمفكرين عندما يسعوا ويبحثوا لإيجاد عقيدة إيمانية بما وراء العلم المادي، يجب أن تكون عقيدة معقولة ومنطقية لمساعدة العالم والبشرية في هذا الأمر.

علينا أولاً: أن نعرف أنفسنا وثقافتنا معرفة صحيحة ودقيقة، وأن يكون فكرنا فكراً واضحاً ونيّراً، حتى نوفّق في هذا العمل علينا أن نتبع طريقاً وأسلوباً علمياً، وليس على الطريقة التقليدية التي تعتمد على العواطف لأنها سرعان ما تزول، أو على التكرار والتلقين، بل مبنيّة على المعلومات الدقيقة والصبر، والسير خطوةً خطوة، كما يفعل المحقق والطالب المبتدىء.

عندها سيكون المثقفون رُوّاداً لنهضة ثقافية ومعرفة إسلامية جديدة، تحلّ محل التقاليد الدينية الموروثة، وعلى أي حال، علينا أن نتحمَّل الدروس الشاقَّة التي تحلّ مكان الخطب المملّة والحماسية وإذا كان تحريك العواطف مهماً، فعلينا أن نهتم بالمعرفة أولاً، ولو أن الإيمان وحده يكفي للحصول على المعرفة، لكان هؤلاء الخمسمائة مليون مسلم كلهم عارفون، فالإيمان الذي يحقق المعجزات، إنما يكون بعد تحقق المعرفة والإطلاع.

المسألة التي نطرحها اليوم، ليست عندنا فقط، كذلك كانت في أوروبا في القرون الوسطى وهي أن الدين هو عادات وتقاليد أخلاقية مثل احترام الكبار، والقادة، والشخصيات الأدبية والدينية، واحترام المراسم والمناسبات الدينية المختلفة وكانت لهم الحاكمية المطلقة على الناس، وكانت تُطرح بعنوان أنها

حقائق سماوية لا يصل إليها الشك، وكان الجميع يقبلون بها، وهذه النظرة الإيمانية تعطي الناس الاطمئنان، فالتكليف واضح، بالنسبة للتعاليم الدينية.

في الدين المسيحي البابا يتولى الأمور الدينية وتطبق من خلال سلسلة مراتب للكرادلة وهؤلاء هم روحانيو المناطق.

والمفهوم الديني المسيحي، هو أن آدم ارتكب معصية في الجنَّة، وأن الناس بسبب هذه المعصية أصبحوا مورد غضب الإله ومطرودين من الجنة، والهدف الذي يسعون إليه هو البراءة، وكان الروحانيون هم من يُعيد العلاقة المقطوعة مرَّة أخرى بين الإنسان والجنَّة.

وأن أسرار العالم منذ خلق الله آدم وحواء موجودة في التوراة، أما ما يجب عمله من أخلاق وأعمال فهي موجودة في الإنجيل.

واجبات المسيحي واضحة وهي:

طاعة الكنيسة، واتباع البابا، وطاعة الروحانيين الرسميين في جميع المسائل الفلسفية والعلمية والاعتقادية والسياسية.

وغُسل التعميد وتناول الشراب والخبز المبارك والإشتراك في صلاة الجماعة أيام االأحد، والهدف هو الحصول على حياة سعيدة، وضمان المستقبل، والنجاة في هذه الدنيا والآخرة. وإذا مات الإنسان، فلا اضطراب ولا قلق، كما كانت البنية التحتية في المجتمع المسيحي متمثلة بالنظام الإقطاعي، والبنية الفوقية متمثلة في رجال الدين، وعندما حصلت الحروب الصليبية، تعرَّضت هاتان المنظومتان إلى التهدم والزوال دفعة واحدة لأنهما متعلقان ببعضهما.

كانت أوروبا في القرون الوسطى مبنية على النظام الإقطاعي، وهي منقسمة إلى مقاطعات لكل واحدة منهما جيشها الخاص، ولكنها كانت تتّبع منظومة دينية واحدة، تسمى الكاثوليكية العالمية، وكل مقاطعة لها نظامها الاقتصادي المغلق والاكتفاء الذاتي.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لإيران، فقد كانت القرية مجتمعاً مغلقاً، يعني أن الإنتاج والإستهلاك يدور في دائرة واحدة، ولا يحتاجون إلى بضائع خارجية.

عصر الإقطاعية له خصائص وهي:

1 ـ طبقة من السادة والأشراف.

2 ـ نظرة مغلقة إلى العالم.

3 ـ حياة جامدة روتينية.

4 ـ مقدسات ثابتة غير قابلة للتغيير.

5 ـ تقليد الآباء والأجداد في العبادة، وفي بعض الفضائل الأخلاقية، كالشهامة والكرم واستقبال الضيف، وحب القيم المعنوية، وحب التضحية، والتعصب للقومية وللدين. والناس في المجتمع الإقطاعي، لا يقبلون الأمور الجديدة، ويخافون حتى من تغيير لباسهم أو حلاقة ذقونهم.

كل هذه العادات مرتبطة بالدين، ولها احترام وتقديس، وهي سُنَّة ثابتة ومقدّسة ونستطيع أن نختصر هذه المزايا للمجتمع الإقطاعي بأمرين:

1 ـ التفاخر بالعادات الموروثة وتقديسها.

2 ـ الخوف من المستقبل ومقاومة كل جديد.

نهاية عهد الإقطاع

بعد الحروب الصليبية بدأ الاختلاط بين الأوروبيين والشرق، وصُنعت السفن، واكتُشِفت أميركا، وبعدها استعمر الأوروبيون أفريقيا وآسيا وأميركا، وصارت التجارة رائجة بين الشرق والغرب.

فانهار النظام الإقطاعي كلّياً وحلَّ محله النظام البرجوازي الرأسمالي، وأصبحت المادة والكسب والثروة هي الهدف وظهر الاستعمار والسيطرة على أمم جديدة، وتحوَّل قسم من المسيحيين الكاثوليك، إلى مذهب جديد هو

البروتستانت، ولكن أهداف هذا المذهب الجديد هو نفس أهداف البرجوازية الرأسمالية، وهو تجلّي الروح المادية.

وقد أسس هذا المذهب مصلح ديني شهير هو (مارتن لوثر) وهو غير (مارتن لوثر كنغ) الذي كان ينادي بتحرير العبيد.

وكان (مارتن لوثر) معارضاً للكنيسة الكاثوليكية خلال القرن السادس عشر وهو الذي طلب من المجتمع أن يثور على سلطة الباباو وحرّض المسيحيين على قتل الأساقفة والقسيسين، واعترض على الزهد الديني، وعلى النظام الإقطاعي، والبروتستانت لا يؤمنون بفكرة الآخرة التي يقول بها الكاثوليك وتعاليمهم تحث على حب الحياة الماديّة والعمل والصناعة والثروة، فكان هناك ارتباطاً بين الفكر الرأسمالي والفكر البروتستانتي.

وقد اشتد العداء بين الكاثوليك والبروتستانت وفي ليلة ظلماء، قامت مجموعة من الكاثوليك في فرنسا بقطع رؤوس عشرة آلاف من البروتستانت.

بعد ذلك بدأت النهضة العلمية تتوسع، وكان مجيء المثقفين من هذه الطبقة البرجوازية، وبدأ التراجع عن الإيمان الديني والنظريات الأخلاقية، وحلَّت محلها الحياة الاقتصادية، والسعي وراء القدرة المادية وأصبح الفلاسفة الماديّون ينادون بأصالة الطبيعة والمادة، وأن لا وجود لله، وكثرت مفردات الراديكالية، وهي تعني الأصولية والتطرف.

في البداية كان يُقصد من التطرف، هم رجال الدين والكنيسة، وبعدها صارت الدعوة إلى التغيير بشكل جذري.

وفي العصر الحديث، الصق الغرب هذا المعنى من التطرف والإرهاب على الإسلام والمسلمين، مع أن ظاهرة التطرف هي عالمية وصارت كلمة (أصولية) هي شتيمة سياسية. أما كلمة ليبرالية مشتقة من كلمة (Liber) يعني حرّ، وهي تهدف لتحرير الإنسان من كل القيود الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية. وهذه الألفاظ كان يستعملها المثقفون البراجوزيون الماديون.

أما الطبقة التي كانت تؤمن بالتقاليد الدينية، فكانت في طريقها إلى الزوال. ولذلك ظهر الصراع بين العلم والدين، وفي القرن السادس والسابع عشر، مجموعة من المثقفين أعلنوا أن القرون الوسطى قرون منحطَّة، وأن الدين يجعل الإنسان مشلول الأيدي والأرجل، ودعوا المجتمعات إلى التخلص من الدين، وأن الدّين صار بالنسبة لهم مجرّد خرافة.

ماذا يقول علم الاجتماع:

يفسِّر علم الاجتماع، أن هذا التحوّل الديني الذي حصل، لم يكن على أساس فلسفي وعلمي وثقافي، إنما على أساس اقتصادي ومادي. وفي القرن الثامن عشر، أُضيفت إلى مفردات الحريَّة والمادية، لذَّة الحياة وأصالة الفرد، وأن على كل إنسان أن يبحث عن جنّته على هذه الأرض بمفرده ولا دخل له بالمجتمع، أو فلسفة الجنَّة الموعودة في الأديان وأن كل شيء في الوجود، هو ما نعيشه وما نتمتع به من خيرات.

وصار الشعار هو: (العلم من أجل القوّة) وأصبحت النظريات الفلسفية الجديدة تقول: نحن نبني الجنَّة على الأرض، ولا نحتاج إلا للعلم والمال، ولسنا بحاجة إلى الدّين، ولكن المهم هو القدرة والثروة، وأصبح العالم كله يردّد هذا الشعار، ونحن الآن نصدِّق هذا المفهوم.

وصار العلم مخالفاً للدين، وغير متفق مع الأخلاق والفلسفة الروحية.

ولم يعد العلم هدفهُ معرفة الحقائق كاملة، عن ظاهر هذه الحياة، وعن الغائب منها، ولكن السعي لكشف قوانين الطبيعة الماديَّة لاستخدامها في كسب القدرة والمنفعة.

هذا العلم لم يعد يحتاج إلى كشف أسرار ما وراء الطبيعة، ولا يهتم لمسألة ما بعد الموت، وأن حياة الإنسان هي في هذه الدنيا والعمل من أجل السعادة والرفاه فيها.

وأصبح العلم يقول، خلاف ما يقوله الدين، وما كان يتفق معه، بأن الإنسان

هو مظهر للإله، وأنه يمتلك روحاً إلهية وأن أساس السعادة هو بالفضائل الروحية والقيم الأخلاقية المتعالية، عن المادة.

الإنسان اليوم تحوَّل إلى حيوان اقتصادي، المهم أن تتأمن احتياجاته المادية ولا شيء غير ذلك.

ما هو السرّ في تغيير العلم لنظراته السابقة؟

الجواب: هو أن العلم أصبح في خدمة المال ولم يعد للأخلاق والتكامل الإنساني ومصير الإنسانية والعدل وسرّ الوجود أية أهمية.

وما هي الطريق إلى سعادة النفوس البشرية؟

الجواب: كل هذه المفاهيم خرجت من قاموس العلم، وصار شعار الناس، في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين، هو:

أيها الناس! الدّين أسطورة والحياة الواقعية هي أن تأكل وتشرب وتُشبع غرائزك ولا يوجد شيء غير ذلك.

وعنوان هذا كلِّه، هو الاستهلاك الكثير والحصول على الاحتياجات من كل نوع، ولكن ما هي هذه الاحتياجات؟ فهل صحيح أن الإنسان يشعر بإشباع حاجاته، وهل الاحتياجات محدودة؟ وهذا العلم الذي يعتمد على كثرة الانتاج، كيف يسوّق إنتاجه؟ وما هو عمل الوسائل العلمية والإعلامية؟ فالعلم والإعلام اليوم يجعلانك باحثاً على الدوام عن الجديد، فأنت محتاج دائماً.

مثلاً: في معرض للأدوات المنزلية، يوجد أنواع عديدة جداً من الملاقط لاستعمالها في تناول الزبدة، بينما في الماضي كانت هناك وسيلة واحدة، وهي ملعقة الطعام.

وهكذا بالنسبة للاحتياجات الأخرى، أصبح العلم يُوجِد لنا احتياجات كثيرة، بطرق مختلفة إعلامية وغيرها.

إذاً هذه الثورة الاقتصادية التي سخَّرت لنا العلم، مثلها مثل عجل السامري،

حيث أصبح المال عجلاً ذهبياً لا روح فيه نعبده، فاليوم تُعطي المصارف أموالاً كاذبة والفقراء المغلوبون على أمرهم يأخذونها ويسجدون لها.

هذه الجنَّة التي انشأها البرجوازيون اليوم هي ليست لجميع الناس، وهذا الرفاه الذي يعيشه الأوروبيون لم يسقط عليهم من السماء، بل جاء من معاناة وجوع مليار ونصف إنسان، فالبرجوازيون الأوروبيون قبل ثلاثة قرون أخذوا ألماس من تنزانيا، والقهوة من الكاميرون، وقصب السكر من كوبا، والنفط والغاز من الجزائر، بعد استعمار دام لمدة 130 عاماً، والشاي من الهند، والكاكاو من فيتنام وسرقوا نفط الشرق الأوسط، وأصبحت الدنيا كلها مزرعة لهؤلاء، والشعوب مكان استثمار لهم وعمال وخدم، فهذه هي الجنَّة الوهمية التي عملوا لها مدَّة ثلاثة قرون وما يزالوا. فالإنسان الأوروبي وصل إلى قمَّة الإستهلاك، ولكن الإنسان اليوم تمرَّد على هذه الجنَّة مثلما تمرَّد آدم على الأرض والسماء.

واستطاع أن يصل إلى جميع النعم الموجودة في الدنيا ويأكل منها، أما الفاكهة التي حُرِمَ منها، فهي المعرفة الإنسانية والروحية.

بعد هذه الرفاهية، شعر الإنسان المترف اليوم بأن كل ما قاله العلم كان كذباً، فقد أصبح عبداً للنظام الرأسمالي، وشعر بأن الإستهلاك والرفاهية وحدها لا تكفي، فهو يريد شيئاً آخر، إنه بحاجة إلى النظريات التي تجيب عن الأسئلة الكثيرة، ما هي الحياة؟ وإلى أين يمضي الإنسان؟ وأين القيم والأخلاق، والمحبَّة، والعدالة بين البشر وأين السعادة؟

العلم لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة.

حضارة البرجوازي وصلت إلى نهايتها، وهي تواجه الزوال والخسران، لذلك تلجأ هذه الحضارة إلى الحيل والجرائم الكبرى بحق الشعوب.

وهذا البرجوازي الذي كان بالأمس يواجه الرجعية والدكتاتورية، ويفجِّر الثورة الفرنسية نراه اليوم أصبح فاشيّاً ودكتاتورياً يتحكَّم بمصير الشعوب وبإفقارها لتبقى خاضعة له.

إذن الرفاهية والعلم، وصلا إلى طريق مسدود، بحيث يقول الكاتب (بريخت): إن الإنسان اليوم يرى أن العلم يؤذيه أكثر مما ينفعه، لأنه أوجد الفاشيَّة وأحدث حربين عالميتين على البشرية، وبالرغم من كُبر الأرض واتساعها، فإننا نجد شخصين من ثلاثة في حالة جوع أو نقص في الغذاء.

العلم والرأسمالية، أحدثا الطبقية والاستعمار الثقافي للعالم، وجعلا من أوروبا حيواناً متوحشاً، وحوَّل العالم الثالث إلى قطيع من الأغنام محاط بالذئاب، وما نراه اليوم هو تغيير الأسياد فقط، وعبادة المادة بدل عبادة الله، فالمال هو الذي يتحكم بالإنسان ويمسخه، ويقرِّر مصيره.

لذلك نحتاج اليوم إلى الدين أكثر من أي وقت مضى، لأن العلم والتكنولوجيا حققا الكثير من الاحتياجات المادية، ولكن ليس لجميع البشر، فالعدالة مفقودة.

ونحن الآن بحاجة إلى دين واقعي متعالي عن المصالح الشخصية، يسيِّر العالم، ويعطي معنى للحياة والإنسان، ولكن ليس الدين الذي اتخذته القوى الحاكمة غطاءً للسيطرة والاستبداد، فهذا الدين سبَّب الضرر والأذى للناس والمجتمع.

إن حركة الدين السلبية، على طول تاريخنا، كانت ضد الدين نفسه وضد المجتمع الإنساني.

لذلك علينا أن نعيد دراسة الدين من جديد، ولكن عن طريق نظرة علمية جديدة، من أجل أن تتضح المعاني الحقيقية للدين ودوره في المجتمع.

علينا أولاً: تعريف الدين من خلال ما قاله علماء الاجتماع والفلاسفة والمؤرخون.

يقول العلماء، أن العوامل الرئيسية التي تجعل الإنسان يبحث عن الدين هي:

1 ـ عامل الخوف والجهل.

2 ـ التساؤل عن أمور وأشياء كثيرة غيبية لا يستطيع الإنسان الإجابة عليها.

3 ـ العامل الديني يؤلف روح جماعية مشتركة في المجتمع الواحد، هذا ما يقوله العالم الفرنسي والفيلسوف: «دوركهايم».

الدرس الثاني

الدرس الثاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ظهرت طبقة جديدة في الغرب، سُميَّت الطبقة المتوسطة أو الرجوازية.

وقبل هذه الفترة أي في القرون الوسطى كان المجتمع الغربي ينقسم إلى طبقات وهم:

أولاً: طبقة الأشراف والسادة الذين يملكون كل شيء من الأمور المادية والمعنوية.

ثانياً: طبقة الرعيَّة وهم عامة الناس كانوا كالعبيد حيث كان صاحب الأرض الإقطاعي، إذا أراد بيع أرضه، يبيع المزارع مع الأرض، وكأنه شيء من ممتلكاته، ويمكن القول أن النظام كان، حاكم ومحكوم.

بدأ ظهور الطبقة المتوسطة بالتدريج، وصاروا يأخذون مكان الأشراف وأرباب العمل ومن ثم أخرجوهم.

وقد قامت الثورة الفرنسية من هؤلاء الطبقة الجديدة، فهم أصحاب الأموال وأصحاب الفكر.

والثورة الفرنسية غيَّرت الموازين فلم يعد الأشراف والإقطاعيون ولا سلالة العائلة والدم هي المعيار، ولكن الاقتصاد والمال هو المهم.

وبعد أن سيطرت هذه الطبقة على الحكم، رفضت الدين بشكله القديم لأنه كان قد تحوَّل إلى مجرّد تقاليد وقيم غير عادلة، وظهر مذهبين جديدان هما:

الفكر الديني الذي يهتم بالدنيا فقط، وهم البروتستانت والآخر هو الفكر

اللاديني الذي يرفض الدين اللاهوتي بكل أشكاله وقد استفاد هذا المذهب اللاديني من العلم كوسيلة لمحاربة الدين، وظهرت مدارس فكرية جديدة تؤيد محاربة الدين وبدأ الصراع بين الطبقة الجديدة والطبقة القديمة، وهذا الصراع سُمّي بالفكر المنفتح والفكر المقيّد.

ومن المؤسف أن معظم المفكرين في الدول الإسلامية والدول الشرقية، أخذوا هذا الفكر والاعتقاد كما هو من الغرب مع أن هناك اختلاف كبير بيننا وبينهم.

كان للغربيين دينهم الذي يمثل الإقطاع الديني والطبقي الظالم في القرون الوسطى وقد ثاروا على هذه الأوضاع، أما نحن فقد أخذنا أفكارهم وقلَّدنا عقيدتهم الاجتماعية بدون أن ننظر إلى واقعنا المختلف كليّاً عنهم. فقد كان التغيير موفقاً بالنسبة للمجتمع الغربي ولو لفترة معينة، فقد حصل تطور علمي واختراعات واكتشافات في شتى المجالات.

وأما مفكرينا، فقد أرادوا أن يقوموا بنفس التجربة، ولكن عن طريق الفكر فقط بدون أي تغيير في الأوضاع الاجتماعية، فلم يكن أحد يشعر بهؤلاء المفكرين ولا بوجودهم، وقد أخذ هؤلاء المثقفون قشور الثقافة الغربية بدون نهضة اجتماعية حقيقية.

وكان هذا الفكر سبباً للتفرقة وكسر الوحدة الاجتماعية، وأصبح المثقفون، طبقة بعيدة عن المجتمع لا دور لهم. وقد رأينا أن استعماراً ثقافياً وسياسياً قد حل مكانهم.

إن دور المثقف الحقيقي، هو مد الجسور مع الناس والاتصال بهم، ونقل المعرفة واستنهاض الأمة للعلم والعمل، ولكن الذي حصل أن المثقف عندنا، لا يفكر إلا بنفسه ويلهث وراء المدرسة الفكرية الفلانية وغيرها، وهو لا يشعر بما يعاني منه المجتمع.

إن مثقفينا أرادوا أن يلغوا الدين وهم لا يعرفون عن هذا الدين أي شيء، ولا يرون من الدين إلا بعض المظاهر والتقاليد والتصوُّر الخاطىء، ولذلك علينا

أن نعرف الدين أولاً، ولا يمكن أن تتم هذه المعرفة إلا بدراسة موضوعية.

دور الدين عند الفرد والمجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا:

نرى أن هناك ثلاث دورات مشخِّصة في التاريخ لمراحل الدين:

- **المرحلة الأولى**: لم يكن فيها خط ولا كتابة ولا تعليم ولا تربية ولا نستطيع نقل هذه التجربة.
- **المرحلة الثانية**: كان فيها حضارة وكتابة وتعليم وقد انتقلت إلى الأجيال اللاحقة من خلال الآثار القديمة والكتب والأحجار المكتوبة والنسخ المخطوطة.
- **المرحلة الثالثة المعاصرة**: وهي تبدأ من القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهي مستمرة حتى الآن.

فإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن المجتمع الابتدائي هناك أساليب وطرق كثيرة، منها علم الآثار، ومعرفة المعابد القديمة وبقايا الأجساد، والأشياء التي يعثرون عليها في القبور وتحليلها بواسطة الكيمياء الحديثة، وبواسطة علم اللغات والعلماء المتخصصين.

مثلاً: إن أحد علماء اللغات وأهمهم هو «إميل بنفنيست» وهو يتحدث بأكثر من سبعين لغة، استطاع أن يجري تحقيقات مع علماء لغات آخرين، وقد قارنوا اللغات الأوّلية مع بعضها، وظهرت لهم حقيقة تقول، أن اللغة كانت لغة واحدة ومشتركة وأن البشريّة كانت تتكلم لغة واحدة، ومن أجل معرفة الدين عليَّ أن أتحدث وابدأ بنفس الأسلوب والطريق الذي سلكه العلماء الذين كانوا ضد الدين، وهي طريق علم الاجتماع ومعرفة الإنسان وفلسفة التاريخ.

ما هي الأديان البدائية

لا يمكن أن نتحدث عن جميع الأديان لأن هذا البحث يستغرق سنين طويلة

ولكن يمكن الإشارة إلى الأديان الأساسية وقد كتب «دور كهايم» وهو عالم اجتماع وفيلسوف مهم في كتابه (**الأسس الأولية للحياة الدينية**) قدّم بحثاً يعتبر من أهم البحوث.

يقول: إن عبادة الروح من أقدم الأديان البدائية، وتعتبر أول دين في العالم.

إن عبادة الروح كانت موجودة عند القبائل البدائية، وهي تعتقد بوجودها، ولكن لا يمكن رؤيتها.

وكانوا يعتقدون أن هذه الأرواح يمتلكها البشر وهي إما مقدَّسة أو شَرّيرة، وأنها هي التي تمنح الإنسان الحركة والحياة، وكان الإنسان البدائي يؤمن ببقاء الروح بعد الموت.

كما يعتقد أن الروح لا تموت، فهي ترجع إلى السماء، أو تبقى في أعماق الغابات وبعضهم يعتقد بأن الروح ملاصقة للجسد وتحافظ عليه، من أجل ذلك كانوا يحترموا جسد الميّت احتراماً كبيراً، ومنهم من كان يضع اللباس والغذاء قرب جسد الميّت لأن بعض هذه الأرواح تذهب إلى الغابات أو البحار وتعيش هناك وتتحول إلى مظاهر طبيعية.

وهنا يصبح واضحاً أن هذه الروح ليست الروح الإنسانية التي نقصدها، ولكن عبادة الأرواح التي يعتقد بها الإنسان القديم.

المهم هو الإعتقاد بأن الإنسان يملك شيئاَ غير مادي وغير مرئي يسمى الروح وهي تمثلّ قيمة الإنسان.

والإنسان القديم كان يعتقد أن كل شيء في الطبيعة له روح، أما نحن فنعتقد بأن الأشياء ميته وفاقدة للإحساس، ومنهم من يعتقد بتناسخ الأرواح، أي أن الروح بعد موت الجسد تبقى وتنتقل إلى جسد آخر، وبعد موت الجسد الثاني تنتقل إلى جسد آخر، أو إلى عالم الأرواح، وقد تنتقل الروح من الإنسان إلى الحيوان أو النبات أو حتى إلى الحجر.

لذلك: فإن فكرة التناسخ في الأديان الهندية أو بعض الفرق الإسلامية غير الرسمية، هي فكرة من أقدم الأفكار البدائية الدينية في العالم.

عبادة الطيور: (الطوطم)

يقول (دوركهايم) وجميع علماء علم الاجتماع، بأن المعتقدات القديمة للقبائل البدائية وبعض القبائل الموجودة اليوم في أميركا وأفريقيا وأُستراليا، هي أن كل قبيلة تعبد طيراً معيناً أو حيواناً ، وإذا سألت أحدهم لماذا تعبد هذا الطير؟ يقول جدُّنا الذي نحن ننتمي إليه وقد مات فإن روحه بقيت في هذا الطير وهو الآن يحمينا ويحفظنا.

إذن جد هذه القبيلة هو موجود دائماً ولكن على هيئة طير، ولهذا يعبدون هذا الطير الذي فيه روح جدّهم، وهذه الروح تجمع القبيلة. وإذا حاول أحد أن يأكل هذا الطير فيعتبر ذلك حراماً بالنسبة لهذه القبيلة أما القبائل الأخرى، فممكن أكله.

في الهند بعض عبدة البقر لا يأكلون لحومها، وهذا يرجع إلى الاعتقاد القديم حيث أن روح جدهم قد حلَّت في هذه البقرة.

وهذا الاعتقاد كان عند بعض العرب في الجاهلية، فكانوا ينسبون أنفسهم إلى الحيوانات، مثل بني كلب، وبني ثعلبة وغيرها، ويتعجب المرء كيف أن الإنسان ينسب نفسه إلى حيوان، ولكن عندما يعلم أنهم يقصدون أن روح الإنسان قد حلَّت في الحيوان يزول التعجب، لذا يريد دوركهايم أن يبحث جذور الدين انطلاقاً من هذه البحوث، ويستنتج من هذه الاعتقادات، بأن أفراد المجتمع أو القبيلة منذ زمن بعيد، عندما يعبدون شيئاً مشتركاً وهو الجدّ، فيكون بينهم رابط مشترك وروح جماعية، ويقول أن الأفراد الذين ينضوون تحت راية واحدة، ويقدِّسون تلك الراية أو ذلك العلم، فهم يقدّسون هذه الروح الجماعية.

وأن الأفراد يأتون ويذهبون، ولكن أرواحهم باقية في هذا المجتمع.

هذا البحث يعتبر من أحدث البحوث التي قدَّمها دوركهايم لعلم الاجتماع.

الخلاصة هي: أن علينا أن لا نأخذ تعريف الدين من الفيلسوف الفلاني، أو من الدين الفلاني، ولكن نطرح بعض التعريفات التي تعرف بها الأديان، ونقارن بينها ثم نلغي ما هو غير مقبول، حتى نصل إلى معرفة ترضي العقل والمنطق، ويكون ذلك بواسطة البحث العلمي كالذي قام به علماء الاجتماع الغربيون.

اعتمد العلماء على مجموعة من الأمور لتعريف الدين، منها أن الدين هو عقيدة في القلب وانجذاب عاطفي والإيمان بأمور غيبية.

ولكن هذه التعريفات لا تكفي بدون أن نطالع ونبحث جميع الأديان، وخلال جميع الفترات والعصور التاريخية، ونستخرج الأمور المشتركة لجميع الأديان، ومتى وُجدت الأحاسيس الدينية في تاريخ البشرية؟ **ويقول بعض علماء الاجتماع**: أن انتقال الدين من مجتمع إلى مجتمع آخر وقوم آخرين يتعلَّق بتكامل الحضارة الإنسانية وظهور الأديان السماوية الكبرى.

بعض علماء الاجتماع يعتبرون أن عبادة الأشياء هي فرع من عبادة الأرواح، وأن الروح تحلّ في الظواهر الطبيعية مثل المطر والطوفان والغابات والأشجار والمياه والجبال وهكذا فإن عقيدة الإنسان بالروح تجعل الدنيا منقسمة إلى مقدَّس وغير مقدّس، وأيام مقدَّسة وغير مقدّسة، وقوى خيّرة وقوى شرّيرة.

حتى في بلادنا هناك عادات كثيرة يجب التخلص منها لأنها ليست من الدين.

في الدين المسيحي، يعتقد أن المسيح لم يكن مخلوقاً كالآخرين، وأتباعه يعتقدون أن بقية الشراب الذي شربه في العشاء الأخير باقٍ حتى الآن، وقد مرَّ ألفا عام وهم يخلطون ذلك الشراب بالماء ويضعونه في قدح كبير ويشرب منه الجميع، وأن عظمة البابا والقسيسيين والبطاركة يحملون روح مختلفة عن بقية الناس الذين لا يملكون ذلك الشراب المقدَّس، وأن من يشرب من الماء المقدّس ويأكل من الخبز المبارك فإن روح المسيح تحلُّ فيه وتطهِّره من الذنب الذي قام به آدم.

في أوائل القرون الجديدة قُتل آلاف من المسيحيين الذين لم يتطهروا ويصبحوا روحانيين، ومنهم علماء دين تمَّ إحراقهم بالنار مثل «جور دانو» وهو كان راهباً وانفصل عن الكنيسة وتفرَّغ لنظرياته العلمية وآمن بان الطبيعة لا نهاية لها، ويعتقد دور كهايم أن هناك وجوه مشتركة كثيرة بين الأديان أهمها هو الاعتقاد بوجود حقائق غير مرئية موجودة في عالم الوجود، ومسألة تقسيم العالم إلى خير وشر وأن المقدَّس هو من له اتصال بالأمور الغيبية.

إن جميع بحوث علم الاجتماع، ومقارنة الأديان، ابتداءً من عبادة الأرواح والأشياء، ومن ثم عبادة الآلهة، والتثليث عند المسيحية، تُعتبر تكاملاً للأديان البشرية السابقة، وأن هذه العبادات مشتركة بين الجميع.

1 ـ ما هي الاعتقادات المشتركة بين الأديان:

إن جميع الأديان والمذاهب بكل أشكالها حتى الخرافية منها، تدلّ على الشعور الفطري الديني، هو عام ومشترك بين جميع الأديان.

2 ـ الاعتقاد بالغاية النهائية للعالم:

إن الاعتقاد بالغاية والهدف النهائي للإنسان موجود في كل الأديان، منذ عصر القبائل البدائية حتى يومنا هذا.

3 ـ تضاد القيم الأخلاقية (الثنيوية):

يقسّم الوجود إلى خير وشر، جميل وقبيح، مقدَّس وغير مقدَّس، والأخلاق عبارة عن مجموع أعمال مبنية على أساس التضاد.

4 ـ عبادة الإله والآلهة هي الاعتقاد الأساسي:

في كل الأديان، وهذا موجود حتى في دين بوذا، في بعض الأديان لا يوجد

مفهوم الإله بشكل واضح عندهم، ولكن الشعور والانجذاب والإيمان بقوّة غيبية فهو موجود في كل الأديان

5 ـ الاعتقاد بالعالم:

منذ خُلِق الإنسان كان يعتقد أن العالم منقسم إلى أمور محسوسة، وأمور غير محسوسة لا نراها.

أما ما هي هذه الأمور الغير المحسوسة، هذا البحث يجيب عنه الدين، وكل دين له خاصيَّة تختلف عن بقية الأديان، ولكن الدين، هو حقيقة إنسانية، والإيمان بما وراء الطبيعة من خصائص الأديان كلها.

6 ـ وجود الروح الاجتماعية للدين:

يقول (دوركهايم) أن الروح الجماعية، هي نفسها الروح الدينية، وأن أساس ارتباط الفرد بالمجتمع، هو الرابطة الدينية ولهذا فإن الدين يمتلك دوراً كبيراً في التاريخ، فهو العنصر الأساسي في تشكيل وتقوية وتكامل المجتمع البشري، لذلك ما قلناه نحن وما قاله دوركهايم لا يوجد فيه اختلاف، إلا في بعض الأمور الغير أساسية.

أما الدور الاجتماعي والتاريخي المهم، فإن علماء الاجتماع من المخالفين والمؤيدين يعترفون بأنه للدين دور عظيم في حفظ المجتمع وقوته.

7 ـ عالمية الدين:

تعتبر إحدى خصائص الدين هي أنه أرفع، وهو متعال عن القوميَّة والوطنية وهو صفة إنسانية تتجلى عند الجميع.

8 ـ وحدة الإنسان والطبيعة:

الدين يتكامل مع الطبيعة، ولكن من خالف هذه الخاصيَّة، هم من حرَّفوا

الأديان وكانوا يُسخِّرون الدين لمنافعهم الشخصية، الدين الحقيقي يرى العالم منظومةً واحدة متجانسة متناسقة، وأن هناك ترابط بين الإنسان والطبيعة، والوجود كله هو وحدة متكاملة وخالقها واحد.

9 ـ الإنسان لديه انجذاب نحو العالم الروحي:

فهو يشعر أنه جاء بمفرده إلى هذا العالم وهو يشعر بالغربة، والاتصال بالعالم الروحي يشعره بالأمان، وهذا جزء من الاعتقاد الديني.

10 ـ السعي نحو الكمال والقوة:

إن جميع الأديان، تؤمن بالقوى الغيبية المقدَّسة والحامية، وهذا الإيمان يجعل الإنسان في حركة دائمة نحو الترقي باتجاه الأفضل والغايات الأسمى.

عندما يجد الإنسان نفسه عاجزاً، يلجأ إلى الدين والقدرة والروح، والإيمان يمنحه الأمل من جديد.

11 ـ الاعتقاد الديني يجعل الإنسان مسؤول

بأن يقوّي الخير ويُضعف الشر ويشجع على المحبة بين الناس.

12 ـ الإنسان ومعتقداته

الإنسان الذي يعتقد بدين، لا يؤمن بالصدفة، بل بأُن التاريخ له مساراً للوصول إلى الهدف الأفضل.

13 ـ الاعتقاد بالحرب بين الحق والباطل

أن هذا الصراع بدأ منذ آدم، فكان الصراع بين هابيل وقابيل، وبين الأنبياء والمشركين، وبين الصالحين والأشرار، وإذا لم يوجد من يدافع عن ثقافة الخير فسيحكم الشر.

14 ـ سعة النظرة الكونية:

عندما يعتقد الإنسان بالدين، وبأن هناك عالم وراء هذا العالم المادي، وأرواح وأسرار ومسائل أخرى، فإن نظرته للكون تكون أوسع.

وهذا خلاف المذهب المادي، فنظرته إلى الكون محدودة، وضيقة وتنحصر فقط فيما يراه ويحسُّه.

الدين هو الذي يجعل الإنسان يرتقي دائماً ويسعى إلى الأسباب البعيدة غير المرئية وهذا الفكر أعطى المجال الأوسع والأرحب للفلسفة والعلم وانطلاق العقل الإنساني للنجاة من القيود الماديّة الموجودة.

15 ـ المعرفة وحب الاطلاع:

عندما يقول الدين، إن هناك حقائق وأسرار كثيرة، غير ما نراه في هذه الدنيا يتولَّد عند الإنسان حب الاطلاع، وهذا الشعور يدفع إلى العلم والمعرفة.

16 ـ الرياضة الروحية:

وهي موجودة في كل الأديان وبأشكال مختلفة وتشجِّع على جهاد النفس، والسعي لتسخير قوى الطبيعة من أرض وسماء، والإنسان هو الذي يختار ما يريده.

17 ـ الحب والعبادة:

إن كل شعور ديني يمتلك في ذاته، حباً وعشقاً وعبادة، إن رابطة الإنسان مع المعبود هي رابطة الحب، وهذا العشق الديني هو نابع من فطرة الإنسان، وهو يجعل الإنسان في حالة أمل ورجاء.

الدرس الثالث

الدرس الثالث

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحن بحاجة لطبقة المثقفين في المجتمع، بأن تكون ثقافتها دينية أيضاً، وأن نتعرف على الدين الحقيقي.

لأن الإيمان والاعتقاد الديني، إذا لم يكن مرتبطاً بالمعرفة والإطلاع الديني، فلن يستطيع معالجة الأمور المؤلمة، بل ستزداد هذه الآلام.

إن الإسلام دين راقٍ ومتحرك، ويستطيع أن يصنع مجتمعاً حضارياً.

وعندما نجهل ديننا الإسلامي، ونساويه بأي دين آخر، مخدّر ومنوَّم، فإننا نكون قد وصلنا إلى العمى، وعدم رؤية الضلال، لأن الدين اليوم، هو ممزوج بأمور أخرى اجتماعية وذاتية.

على المثقف أن يعرف، التسلسل التاريخي للمجتمع، ولكن إذا أردنا أن نقرأ كتب التاريخ، فسوف يستغرق ذلك وقتاً طويلاً فهناك طرق جديدة، وهي النظر إلى تحوُّل الأديان، أي بحث الأديان.

أولاً: علينا معرفة التحوُّل البشري التاريخي والثقافة الإنسانية، التي تلعب دور مهم في التحولات الدينية.

والأهم من هذا كلّه، هو معرفة الإسلام باعتباره العامل الأساسي لتاريخنا وثقافتنا، وإعطاء صورة للرؤية المستقبلية والسياسية وهذه كلها تستدعي من المثقف، أن يدخل إلى أعماق الزوايا المظلمة لوجدان هذا المجتمع وهذه الأمَّة التي بقيت مجهولة للمجتمع الشرقي المثقف.

تعريف الدين:

قلنا أن الأديان البدائية لها أصول مشتركة، وإذا أردنا معرفة تاريخ الأديان، فيجب مطالعة بعض الكتب، ومن خلال هذه المطالعة، تصبحون أكثر استعداداً لطرح هذه المسألة، وهي معرفة الأديان.

هناك تعريفات قد أُعطيت للدين، ولكنها لا تفي بالغرض المطلوب، وخطأ هؤلاء الكتَّاب، هو أنهم يعطون تعريف الدين أولاً، ثم يبدأون بالبحث في الموضوع، وهذا ليس تحقيقاً وإنما هذا تبليغ.

ولكن الطريقة العلمية الصحيحة، هي البحث والتحقيق أولاً، وبعدها يكون تعريف الدين وهو نتيجة هذا البحث.

إن أصل البحث في الدين، هو أن تتخلى عن العقيدة التي تؤمن بها، وتبدأ بالتحقيق والتحليل للمسائل المراد بحثها.

عند ذلك يكون التحليل منطقي وعلمي، حتى لو كانت النتيجة مخالفة لما تعتقد به وهذا مايقوله علم الاجتماع.

إن التحقيق العلمي هو الذي يوصلنا فمثلاً: من أجل معرفة طائر ما، يجري التحقيق على الآلاف من الطيور، وبعدها تستخرج الصفات المشتركة بين هذه الطيور ونبين الشاذ منها، فنرى مثلاً: أن طائر الخفاش هو الوحيد الذي يتكاثر عن طريق التوالد، وأن جميع الطيور تبيض، وهذه القوانين العلمية حصلنا عليها بعد التحقيق والمطالعة.

وفي المسائل الاجتماعية والإنسانية، نستطيع أن نبحث بنفس القانون، ولكن بطرق مختلفة.

علينا أن نبحث عن الدين في العصور المختلفة لنحصل على العامل المشترك عند جميع الملل والأديان.

من الهنود الحمر في أميركا الشمالية، حتى السود في أفريقيا، ومن الأديان العربية والسامية والآريّة والهندية والإيرانية حتى القبائل الوحشية في أستراليا.

فإذا طالعنا هذه الأديان جميعاً، استطعنا الحصول على نتيجة التحقيق، وسيقبل بهذا التحقيق العلمي، من يعترف بالدين ومن لا يعترف به، لأن من يمتلك روحاً علمية سيكون مجبوراً بقبول هذه النتيجة.

العوامل المشتركة بين الأديان:

جميع الأديان تعتقد بالموجودات الغيبية، وجميع علماء الاجتماع يقولون، أن الوجدان الباطني غير الواعي يمتلك عدة تشعبات سياسية واقتصادية وعرفانية عند الإنسان منها: الانجذاب نحو المجتمع والفرار من الوحدة والعزلة.

والانجذاب الروحي في امتلاك الدين، والدين يطلب من الإنسان أن يضحي من أجل المجتمع والآخرين، بعكس السحر الذي يلجأ إليه بعض الأفراد لمعرفة الأمور الغيبية بأسلوب منحرف، والسحر هو يضحي بمصالح المجتمع من أجل المصلحة الشخصية. في إحدى الكنائس في فرساي بفرنسا، عُثر على أجساد أطفال، تبيَّن أن أحد السحرة استفاد من دماء هؤلاء الأطفال ليقوم بسحره، وساحر القبيلة يسعى لفناء القبيلة الأخرى المعادية بأساليب سحرية مختلفة، أما الدين فهو يريد من الفرد أن يخرج من أنانيته ويعمل على توحيد القبيلة أو المجتمع.

يقول «يونغ» أن الشعور الديني هو إحساس فطري داخلي في النفس، ويقول: إن هناك مجموعة من الغرائز عند الإنسان مثل الإنجذاب الجنسي، وحب الذات، وحب المال، وكذلك الإنجذاب الروحاني العرفاني وهذا الإحساس موجود عند الجميع، حتى الذين لا يؤمنون بالدين، وهذا الإنجذاب يظهر قوياً عند الفلاسفة وأهل العرفان وهو لا ينتج عن أسباب اقتصادية أو خوف أو جهل، بل هو مرتبط بفطرة الإنسان، وينبع من ذاته، وهو في ذرَّات الإنسان وخلاياه

يرى علماء الاجتماع، أن الاستعدادات عند البشر تختلف من شخص إلى آخر ومن بلد إلى بلد.

في مجتمع أثينا، كانت الأمور الفلسفية قويَّة وأما في فرنسا وألمانيا، كان التفوق العلمي.

وهناك استعداد آخر في السياسة، فقد تجد أشخاصاً لا يملكون رؤية فلسفية، ولكن يملكون استعداداً لجذب الآخرين ولقيادتهم.

وكذلك بالنسبة لموهبة الشعر، فقد لا تجد بين مائة أستاذ جامعي أو أديب من يستطيع أن يُنظم بيتاً من الشعر فجميع الفنون هي استعدادات فطرية ومواهب.

أما بالنسبة لوجود الشعور والإحساس الباطني العرفاني، فهو موجود في فطرة كل إنسان، وهو منبع جميع الأديان في العالم.

قال «مونتسكيو» وهو فيلسوف فرنسي، أن في داخل كل إنسان وفي وجدانه، حفرة خالية يجب أن تملأ بحقائق ما وراء الحياة الماديّة المحدودة، هذه الحقائق تُخرِج الإنسان من الحياة المغلقة الضيقة.

وإن لم تملأ هذه الحفرة بالحقائق، فإن روح الإنسان ستملأ بالخرافات وتبقى تلك الحفرة خالية من النور.

هذا القول، كم هو واقعي، فهذا ما نراه من اختلاف بين دين ودين، وبين إسلام وإسلام لأن هذه الحفرة لم تملأ بالحقائق.

إن الدين الحقيقي يبني المجتمعات، ويطورها ويكون عاملاً أساسياً في نهضتها، أما عندما تمتلىء الأرواح بالخرافات، فيكون الدين عامل تخدير وركود وتوقف عن التطور.

وبهذه الطريقة نكون قد وصلنا إلى الخصائص المشتركة بين الأديان.

بعد ذلك سوف نوضح خصائص كل دين، ونطرحها للبحث واحداً واحداً:

في الجلسة الماضية تحدثت عن مجموعة من الخاصيّات المشتركة بين الأديان، والآن نتحدث عن البقية.

ـ المثالية أو الفكر المثالي، وتخيل المدينة الفاضلة، والمثاليون لا يقبلون بأي واقع اجتماعي، ويسعون إلى هدف متعالٍ وتغييرات راقية، ويريدون أن يبنوا حضارة أو مجتمع أفضل مما هو الواقع، وهذا الهدف البنّاء لا يقبل التسليم أو الركود.

في التراث الإنساني قصص وأساطير تصوّر هذا الخيال، والمدينة الفاضلة التي يجب أن يصل إليها الإنسان.

الجنَّة موجودة في خيال هؤلاء المثاليون، وهم في سعي دائم للانتقال من هذا الواقع للوصول إلى الجنَّة.

والإسلام يعرّف الجنَّة بأنها مجتمع فاضل وجميل ومتعال، وإن من يصل إليها هم المثاليون اللائقون بها، والذين ضحّوا بأنفسهم وذاقوا مرارة الحرمان والتعب، من أجل بناء مجتمع مثالي أفضل، وهكذا يتبين لنا أن المثاليون والإسلام هدفهم واحد.

ـ في العلم العرفاني يوجد الإنسان الكامل وفي الدين الإسلامي، هناك الإمام والقدوة وهذا الإنسان مطلوب وموجود في جميع الأديان.

الانتظار:

هذا المعنى موجود في كل الشرائع والثقافات والأمم، حتى في القصص الوثنية والأساطير يوجد فكرة الإنتظار، ولكن هذا الإنتظار هو حركة خروج من اليأس، ومن صدأ النفوس، لأن انتظار التغيير، هو اعتراض على الواقع، والطموح نحو الأفضل.

يقول «إقبال»: تموت الطيور ويبقى الطيران، إن الروح المتحركة والمحلّقة، هي روح الإنسان المعترض الطامح إلى المثالية، والمدينة الفاضلة.

الإنتظار إذن هو الاعتراض على الوضع الموجود والحركة نحو الوضع المطلوب.

الإنسان الإلهي المُبعد:

لقد خلق الله الإنسان، ثم نفخ فيه من روحه وصوّره في أحسن تصوير، ثم علَّمه الأسماء كلّها، وبعدها عرض عليه الأمانة، بعد أن رفضتها السماوات والأرض، وقد سجدت له الملائكة.

هذا الإنسان، منذ اليوم الأوّل وهو محاط بالهمّ والغمّ، كلما أراد أن يُخرج نفسه من الواقع ينتابه اليأس، لأن كل ما هو موجود لم يكن يتمناه، لكن فكرة الانتظار والصبر بأن الأمور سوف تتغيّر تعطية الأمل بأن وراء هذا الخراب هناك بناء وإعمار، وحياة أخرى، فهو يرفع يديه إلى السماء، وقد رأى نفسه غريباً حائراً فيحلم بالجنّة المفقودة، ويشعر بشكل أو آخر، أن هناك طرق توصل إلى هذه الجنَّة إن البحث الذي لا يعرف الملل والتعب فهو أمر لا ينطفىء لدى الإنسان، والسعي وراء انفتاح نافذة تفتح إلى خارج هذا الكون.

إن روح الإنسان المضطربة، ترى نفسها غريبة ووحيدة، وهي سجينة في هذا العالم، لذا يشعر الإنسان أن هذا المنزل ليس منزله.

وللهروب من هذا الواقع، نرى البعض يتوجّه إلى اللهو والطرب والملذات المادية وهذا نوع من الحماقة والابتذال.

وهناك قاعدة منذ زمن أرسطو، وهي أن العمق والجديَّة تجعل الإنسان مهموماً وأن السطحية والابتذال تجعل الإنسان مضحكاً ومفرحاً.

لماذا البعض يفضّلون السُّكر وفقدان الوعي؟ لأن الإنسان يفقد علاقته بالحياة المادية، لأنها لم تحقق له شيئاً، ويشعر أنه ما زال غريباً في هذا العالم، وتمحى ذاكرته صورة هذا الوجود القبيح.

الإنسان في أعماق فطرته، يعيش الأمل المطلق والبقاء والخلود، والحريّة المطلقة والسعادة الحقيقية، واليقين والحب والجمال والطهر والخير المطلق.

ولكن هذا العالم هو محدود ومقيَّد ومؤلم وملوَّث، فهو غير متلائم مع ما يطمح إليه الإنسان من الشعارات الجذَّابة لروح الإنسان المتعالية.

ولكن من أين جاءت هذه المشاعر إلى قلب الإنسان؟ إنها العين والمنبع الغيبي الذي يتحرك ويغلي دائماً في عمق وروح الإنسان، تلك الروح الصابرة التي لم ترى في هذا العالم سوى السراب.

لقد فقدت الروح طريقها للحريَّة، وفقدت طريق منزلها النهائي.

وهكذا فإن الخوف والشك والعصيان وحب الهروب، موجود منذ البداية في وجود هذا السجين الذي خلق من تراب ولكن في داخل هذه العجينة الترابية **ظهرت تجليات ثلاثة:**

الدين والعرفان والفن.

الدين يمثل سعي الإنسان لتظهير ما علِق به من ذنوب ومعاصي، وينقله من صفته المادية إلى الصفة الروحية الإلهية، والعرفان هو تجلّي الفطرة الإنسانية، حيث أن الإنسان الغريب في هذه الدنيا، يشبه الطائر الأسير الموضوع في قفص مظلم يضرب نفسه بنوافذ وجدران ذلك القفص من أجل الطيران والخروج، فهو غير مستقر.

هذا الإنسان الغريب، يبقى يعيش على ذكريات الوطن الأصل، ويسعى ويجهد، من أجل أن يخرج من أسرهِ وسجنهِ الذي وُضع فيه.

ـ والفن هو وليد هذه الآهات والأحاسيس وهو فلسفة باقية، والفن يعرف أن هذا ليس هو مكان البقاء، ويسعى بواسطة الخيال والقول والأفكار والخواطر أن يعود إلى وطنه.

والفن هو محاكاة لما وراء الطبيعة، والفنان يشبه رجل الدين، وهو يشعر بالنقص ويسعى لإكماله.

فالدين والعرفان يمثلان باباً للخروج من السجن، والفن هو النافذة له.

ومع خدعة الفن يبني الإنسان لنفسه قصراً إلهياً لائقاً يضع نفسه فيه.

ـ الدين الإسلامي يُعرِّف الإنسان بأنه هو حامل أمانة السماء، وهو شبيه بالخالق، لأن الخالق نفخ فيه من روحه.

يقول الأنبياء أن الدنيا، هي مجرد قشرة خارجية للوجود.

ـ يقول الإنسان في البداية «أنا» ولا أحد غيري، ولكن إذا تقدَّم بالمعرفة والعرفان يضع هذه الأنا جانباً، وهذه الأنا القديمة تذهب كمجموعة من القذارات تُجمع في كيس وتطرح جانباً، ثم يصل الإنسان إلى حقيقة النفس التي لا تخاف من أي خطرٍ ولا تخضعُ لأي وسوسةٍ أو تزلزل، ويكون قد وصل إلى درجة عالية من الكمال.

ـ الإنسان يرى نفسه ضائعاً في هذا العالم المادي الذي لا استقرار فيه، فهو متقلب دائماً من حال إلى حال.

وصحيح أن الإنسان خلق من مادة فانية ولكن روحه تهفو وتسعى دائماً إلى أصلها حيث الطمأنينة والراحة، وهذا السعي إما يكون بوعي وسلوك واضح وإما بدون وعي لأنه شعور فطري يدفع دائماً إلى الأمل بالفرار والنجاة من هذا السجن الذي نحن فيه.

الدرس الرابع

الدرس الرابع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأديان في فترة الحضارة البشرية:

الموضوع السابق، كان حول الأديان البدائية وقد وصلت إلى أن هناك أسس وأصول مشتركة لجميع هذه الأديان البدائية.

والآن نسأل ما هو الدين؟

البشرية تدخل مرحلة حضارية كبيرة وجديدة، وكذلك الدين يأخذ بالتكامل في فكر الإنسان والبشرية.

المفهوم الديني، هو متكامل ولكن بأشكال مختلفة، بين الأديان الحيَّة.

أديان الصين والهند:

نبدأ من الصين، التي تعتبر أديانها من أكبر وأعمق الأديان، وتعتبر الصين من أهم الأماكن من حيث الانتماء الديني والمذهبي كذلك الهند، فهي تُعتبر متحفاً للأديان الإنسانية، وتعتبر مركزاً للأماكن العرفانية على طول التاريخ، وقد تركت تأثيراً عميقاً في جميع الأديان، حتى في المدارس الماديَّة الأوروبية، واليوم أكثر الشباب المتمرِّد على الأوضاع في الغرب، يتأثرون بالعرفان الهندي.

إن أكبر رسالة للهند على طول التاريخ، هي إظهار ونشر الإحساس العرفاني، والذي يُعتبر سبباً لتقدم جميع الحضارات.

ومعرفة الهند تعتبر مقدّمة لمعرفة الثقافة والحضارة الإسلامية في القرنين الثاني والثالث وما بعدهما في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري، فقد أخذ التصوف الإسلامي من الثقافة الهندية، وعندما نقول التصوف والعرفان

الإسلامي، فهذا لا يعني الدين الإسلامي، بل المقصود هو الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى.

نستطيع أن نقسم الثقافات والحضارات والأديان إلى قسمين، لهما وجوه مشتركة وفي نفس الوقت هناك وجوه افتراق ونقول: الروح والفكر الشرقي، والروح والفكر الغربي.

وعندما نقول: الفكر الغربي، فهو المقصود بالثقافة اليونانية، ومن ثم الرومانية التي ورثت اليونانية.

الروح والفكر الغربي:

كانت اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد هي وارثة الحضارة والثقافة اليونانية قد وصلت إلى قمة حضارتها، بوجود: سقراط وأرسطو وأفلاطون، ثم تدنَّت ووصلت إلى الحضيض، لتأتي بعدها الحضارة الرومانية وامبراطوريتها العظيمة.

وقد وصلت روما القديمة إلى عظمتها، بواسطة الفكر اليوناني ثم سقطت وتهاوت أمام البرابرة ومن ثم جاء الدين المسيحي الشرقي، وسخَّر هذه الإمبراطورية له، واستمرَّت هذه الحضارة المسيحية عشرة قرون، وقد جاءت المسيحية من فلسطين، وبدأت بالسيطرة على الغرب، وأوقفت الثقافة الروحية اليونانية وأصبحت ثقافة غربية.

وفي نهاية القرون الوسطى، بدأت نهضة هدفها الرجوع إلى العصر اليوناني والروحي القديم، وإلغاء التسلُّط الشرقي، ومحاولة إحياء الثقافة الغربية القديمة، فعادت أوروبا وارتبطت بالثقافة اليونانية، والرومانية في القرون الأخيرة من الألفية الأولى.

الروح والفكر الشرقي:

من الناحية الجغرافية، إن كلمة شرق تعني: الصين، والهند، وإندونيسيا، واليابان وإيران، والشرق الأوسط، وآسيا الصغرى.

خصوصيات روح الثقافة الغربية:

أولاً: أصالة القدرة:

إن الروح الغربية منذ البداية تسعى، لكسب القدرة والقوة الاقتصادية والاجتماعية للوصول إلى أهداف، إشباع الغرائز، وتأمين الاحتياجات، وتسخير الطبيعة لهذا الهدف.

وجود التكنولوجيا في الغرب، هي نتيجة السعي وراء امتلاك القدرة بلا ضوابط.

كانت أوروبا في القرون الوسطى تسعى وراء طلب الحقيقة، وبعدها صار الغرب يسعى للحصول على القدرة المادية فقط.

يُعتبر «بيكن» من أهم المفكرين وواضعي أسس الروح والفكر الغربي الجديد. يقول: أن العلم كان يبحث عن الحقيقة، ويريد أن يكشف سرَّ الحياة، والكائنات، والخالق ويعرف مستقبل أول موجود وآخر إنسان ويريد أن يعرف ما وراء الظواهر الطبيعية أما اليوم فتقول الثقافة الغربية، يجب أن نترك كل الشعارات التي كان يقولها العلم والفلسفة، وأن نجعل القدرة مكان الحقيقة، وأن يكون شعار العلم فقط هو (طلب القدرة).

أصالة الحياة:

إذا أردنا أن نحدِّد اليوم ديناً أو مذهباً للروح الغربيةو في ثقافتها البرجوازية، نستطيع القول: أنه مذهب تقديس الحياة، والمقصود من تقديس الحياة هنا، هو إشباع الغرائز الماديّة للإنسان، وهذا المذهب هو مشترك بين جميع الأمم الأوروبية.

نرى الإنسان الغربي، أصبح يتعامل حتى مع القيم الأخلاقية، بطريقة علمية حسابية، بينما الشرقي يعتبرها أمراً مهماً وعظيماً وهي من أسرار الله وتجلياته التي منحها للإنسان، والسعادة يُعرِّفها الفكر الغربي، أنها مجموعة من الأمور الحياتية، كالصحة البدنية والمال، والراحة.

الغربي يحلِّل جميع المسائل بالتحليل العقلي والمادي.

في الشرق لا تجد مدينة مبنيَّة على أساس مادّي، بل معظمها لها آثار دينية وقصص في هذه المدينة دفن النبي سليمان، وفي الأخرى آدم، وفي الثالثة مرقد أحد الأئمة، في مدينة مشهد، يوجد مياه معدنية خاصَّة للشفاء من الأمراض وخاصة للأمراض الجلدية وقبل 300 سنة تقريباً بنوا في هذا المكان قاعة كبيرة ونظيفة، يتمتع الناس بتلك الحمّامات الموجودة فيها، ويتعافون من أمراضهم الجلدية، ويفسرون هذه الأمور تفسيراً روحياً.

ومن الأمور التي يتميَّز بها الدين الإسلامي، هي أن جميع الأقليّات الدينية يمكنها أن تعيش باطمئنان، وأن تتمتع بجميع حقوقها الإنسانية، أما في أوروبا وبعد مضي 300 سنة على الحكم الكنسي، لا تزال بعض المطاعم، لا تستقبل السود، وفي فرنسا ما زالت الأقليات الدينية تتعرض للمضايقات، وهذا كله نتيجة الحقد والعنصرية.

وكذلك المسلمون اليوم، يكادون يفقدون قوتهم بسبب تعصُّبهم.

واليوم ما زال هناك الكثير من العلماء الغربيون ومع أنهم من دعاة الاشتراكية والعدالة، ولكنهم ما زالوا يميلون إلى تقديس الغرب وأصالته، وأنه لا يوجد في هذا العالم إلّا الحضارة الغربية، وأما الآخرون، فأما يكونوا متحضرين بحضارة الغرب، أو هم متوحشون ومنحطون، ومثقفوا العالم قبلوا بهذا الشِعار.

يقول: (فنسان مونتيه) وهو مستشرق فرنسي اعتنق الإسلام: أن كل من حصل على جائزة نوبل، كانوا مطابقين للمعايير الغربية، أما أولئك الذين كانت آثارهم غير مطابقة للمعايير الغربية لم يحسب لهم حساب، إن كان في الرسم أو الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ أو علوم معرفة الإنسان والأخلاق، حتى في بلدانهم لم يهتم بنتاجهم أحد، إلا الذين كانوا قد درسوا في جامعات الغرب.

يعتبر الغربيون، أن كل ما هو موجود له جذور غربية، وأن العلم والفلسفة والفن منبعها اليونان، وأن جميع الشعوب والأمم أخذوا من هذا المنبع.

ولكن بالنسبة للدين، لم يستطع الغربيون أن يقولوا أن جذور الدين من الغرب، ولم يستطيعوا أن يقولوا أن تدرج العبادة من عبادة الأوثان إلى التوحيد أنها بدأت من اليونان.

إن أحد مميزات الآثار اليونانية والرومانية هي صناعة المجسّمات والرسم والتجسيد العاري، أما المجسمات والرسوم الأشورية كان يرتدي أصحابها لباساً فضفاضاً، البدن كله مغطى، والسبب أنه عندما كانت السلطة للثقافة الشرقية، والأصل فيها لوجود الخالق ونور السماء، ومعجزات عيسى وشفاء المرضى والعمي وإعادة الحياة للموتى، فكان الإنسان الشرقي يُرى في اللباس كملاك طاهر، وأن النفس والروح هي الجميلة، وكل ما سواها فهو مخجل ويجب أن يغطى.

في الثقافة اليونانية الغربية، تظهر أصالة الإنسان والمادة، مقابل أصالة الروح والكمالات الإنسانية.

وهذا كله ينعكس في الفلسفة والدين والحياة الاجتماعية.

وفي تأثيره على الدين، يعتبر الإنسان الشرقي الموحد، أن الله هو الجمال المطلق والقدرة المطلقة، وأكبر شعار في الإسلام هو «الله أكبر».

في أديان اليونان، الآلهة أسطورة وهم أناس ضعفاء أذلَّاء، وهم يشبهون الناس.

ولكن في الفكر الشرقي، فالإله هو سرُّ الغيب المتعالي، وهو ما وراء العقل والوجود.

الثقافة اليونانية، تجعل من الآلهة، أصغر فأصغر ليصبحوا قريبين من الإنسان، والثقافة الشرقية تجعل من الإنسان أكبر فأكبر حتى يرتفع إلى الخالق.

يعتبر فيتاغورس وأفلاطون، آخر العلماء في اليونان الذين يملكون حسَّاً عرفانياً، ويعتقدون بروح ما وراء الطبيعة والاثنان وقعا تحت تأثير الشرق.

الفكر في الغرب يعطي الأصالة للفرد مقابل المجتمع، ولكن في الشرق

الأصالة للفرد وللمجتمع والذي يقتل نفساً واحدة بدون حق فكأنما قتل الناس جميعاً، والذي يحييها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

القرآن لا يضع الفرد أمام المجتمع، ولكن هو لا يريد أن يلغي الفرد في ظل أصالة المجتمع، بل هذه القيمة للفرد الإنساني تسري داخل كل فرد في المجتمع، هو مجموعة هؤلاء الأفراد.

ولذلك فإن جميع الأنبياء، الذين كانوا يسعون لتشكيل المجتمع على أساس المبادىء، كانوا يتوجهون إلى قلب الإنسان وإلى روحه وبأنه يجب عليك أن تغيّر نفسك، وتتحرّر من القيود، وتنطلق وتحلِّق نحو الكامل المطلق.

يقول بوذا، إن الذهاب والإياب في هذه الحياة، هي الدموع التي يذرفها الإنسان، وإذا جُمِعت تصبح أكثر من ماء جميع المحيطات الموجودة على الأرض.

الآلام هي أساس الروح الشرقية، لأن العذاب بنفسه، هو الطريق إلى الله. هذا التعلق والشوق إلى القويّ المطلق، يجعل من الإنسان الشرقي، يضحي تدريجياً بالحياة المادية ويتحرر من حصارها الأديان الشرقية هي التي استطاعت أن تحرر الروح من الحصار والسجن الأرضي، وترتفع بها نحو الملكوت الأعلى، والرياضة الروحية هي التي تدفع الإنسان ليعطي الخبز والطعام للجياع، وتحمُّل الجوع من أجل الآخرين.

فهذه الأديان هي التي ساعدت الروح على النجاة والتوجه إلى الخالق المتعالي.

الدرس الخامس

الدرس الخامس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أديان الشرق والغرب:

البحث السابق كان: أصول الفكر الشرقي وأصول الفكر الغربي، كما يراه علماء النفس وعلماء الاجتماع والمقارنة بين هذه الأديان وبما أن الأديان الكبرى بدأت من الشرق فسيكون هذا البحث في الأديان الشرقية.

هناك سؤال، لماذا جميع الأديان والأنبياء جاؤوا من الشرق، وأن الغرب لا يوجد فيه دين؟ والجواب هو أن دراسة التاريخ تبين أن جميع الأقوام والأمم منذ بدء التاريخ لديها أديان، حتى الذين يعيشون في المناطق البعيدة في استراليا، والهنود الحمر في أميركا الشمالية، ولا فرق بين الشرق والغرب.

أما لماذا كان أتباع الأنبياء كانوا من الشرق، فذلك لأن الحضارة والثقافة بدأت من الشرق، ثم بعد ذلك انتقلت الحضارة إلى الغرب، ففي الغرب أديان ولكنها بدائية، لم تكن تتناسب مع عصر الحضارة والثقافة التي حصلت في الغرب.

المثقفون الشرقيون يتأثرون اليوم بالحضارة الغربية:

لقد كان في الشرق: إيران والشرق الأقصى وآسيا وإفريقيا، فلاسفة وفنانون وأدباء ولكن تأثير الحضارة الغربية أكثر تقدماً، ونحن بشكل طبيعي، كما نأخذ التلفاز، نأخذ الأفكار والمدارس الفلسفية، ولا يعني ذلك أن في الغرب فلاسفة، وأن الشرق لا يملك فلاسفة، ولكن كما تأثر الغرب سابقاً بالحضارة الشرقية، نحن اليوم نتأثر بالحضارة الغربية لأنها الأقوى وإذا أردنا أن نبدأ بتاريخ الأديان الكبرى علينا أن نبدأ بالشرق.

هناك منبعان: أحدهما ما بين النهرين والثاني الصين والهند.

الصين والأديان البدائية:

تشبه الصين كل المجتمعات الأخرى، فقد مرَّت بعهد بدوي قبلي، وكانت أديانها قبلية وهي موجودة في الطوطمية (تابو) ومانا، وفيتشيم، واينمسيم.كانت هذه الأديان، قبل ألفي سنة من ظهور المسيح.

الأديان المتعاقبة في الصين:

أخذ الدين شكله الفلسفي وصار قابلاً للبحث عندما تجلّى بصورتين معروفتين هما:

«ثائوسيم» وهو فيلسوف ومؤسس مدرسة دينية من أكبر الأديان الصينية وأعرقها تسمى «الطاوية» والثاني هو «كونوشيوس» وهو يعتبر مدرسة فكرية إصلاحية دينية جاءت بعد ذلك.

والطاو كتاب مقدس يرجع تاريخه إلى 2600 سنة ق.م. ويحتوي على عشرة آلاف نص أو حكمة أو سِفر، وهو كتاب شعر ودين، وفيه أسرار الحياة وفلسفة أعماق الإنسان، وكلماته سهلة وبسيطة وتدعو إلى التأمل.

خصوصيات الروح الصينية هي التضاد:

الروح الصينية لها ميزتان متضادتان، **إحداهما** الخشونة والبأس في الحرب، والأناشيد الحماسية أثناء القتال.

المغول هم من الأقوام الصينية، وهم معروفون بشدة حبهم للحرب، وكذلك فيتنام وكمبوديا.

والميزة الثانية، هي وجود التصوف العميق والأحاسيس الإنسانية اللطيفة

عند الفرد الصيني فإن ألطف وأرق الحالات الشعرية والعرفانية والأخلاقية تتجلى في الشعر والفن الصيني، ويتميز الفنان الصيني في الدقّة، وإتقان الرسوم الصغيرة، ويسمى هذا النوع من الرسم «المينياتور».

ويمكن أن نرى هذا التضاد عند المغول الذين اجتاحوا إيران وحرقوا وقتلوا، ولكن لم يمض إلا جيل واحدو فقد تبدَّل حكامهم إلى عارفين بعد أن أسلموا وسمّوا أولادهم محمد وعبد الله.

ومن حكام المغول الذين أسّسوا إمبراطوريات جنكيز خان المغولي، فقد حكم مساحة كبيرة من أواسط آسيا وبحر قزوين إلى بحر اليابان وبعدها تحولوا إلى الإسلام.

وتيمورلنك وهو قائد مغولي من التتار من سلالة جنكيزخان، وقد قام بحروب كثيرة وقد أسلم أيضاًو وصار حاكماً لإمبراطورية شاسعة في آسيا الوسطى سنة 1369م، وكان مركز حكمه تركستان، وبعدها مات بالحمى، وتفككت إمبراطوريته بعد زمن قصير، ومنهم هولاكو وهو حفيد جنكيزخان.

وهؤلاء جميعاً كانوا مرتبطين بتلك القومية وبذلك العرق الصيني.

الصينيون يرون أن هناك روحاً عرفانية، وعقيدة دينية في عمق الطبيعة المادية.

في إيران، وحتى في أروبا، حينما يريد الإنسان أن يلجأ إلى الأمور المعنوية، فإنه ينزوي في غار أو منزل أو مسجد أو معبد، وخلال هذه الخلوة يبدأ بمراجعة نفسه، ويمارس الرياضة الروحية.

ولكن الصيني عندما يريد أن يفرّ من الحياة الماديَّة، فهو يلجأ إلى الطبيعة التي تحمل روح الإله.

الشاعر «لوي» الصيني هو من أفضل الشعراء الروحانيين، يقول أحب الحياة

خيرها وشرها وأحب أن أسرح في الغابات التي لم تطأها الأقدام وأشم الهواء البارد، وأصطاد الطيور بيد الرحمة ولا أقتلها، وهي هناك لا تعرف الخوف والرعب، وأمسح أجسادها بيدي الحنونة.

الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية:

الثقافة الإسلامية، هي غير العقيدة الإسلامية، هناك فرق بين الثقافة وبين العقيدة، والاختلاف كبير بين الصحابي الكبير «أبا ذر» وبين الفيلسوف «ابن سينا» فما يعرفه ابن سينا من الفلسفة والطب والشفاء والقانون والهيولى لا يعرفه أبو ذر.

وكذلك فإن ابن سينا وابن عربي والملا صدرا وبقية النوابغ، لا يدركون ما يدركه أبا ذر لأن الفكر مختلف.

علينا أن نعرف الواجب الإسلامي وتعاليمه من أين نأخذه، وعلينا أن نعرف بأي منظار ننظر إلى القرآن، هل من منظار عليّ وأبا ذر وبلال، أم بمنظار الفلاسفة والعرفاء والمحدثين والأصوليين.

فلسفة التاريخ في الأديان قائمة على أساس التضاد:

في الإسلام يعرف الإنسان بظاهرة تجمع الضدين من جانب هو مادة، ومن جانب آخر هو مكوَّن من روح الله.

إذن هو مكوَّن من متضادين، ظاهرتين متضادتين، إلهي وشيطاني.

له القابلية أن يرجع إلى الله، ومن الممكن أ ن يكون فتنةً للشيطان.

في دين زرادشت ودين بوذا، والعقيدة الطاوية مبنية على أساس التضاد أيضاً.

الطاو هو نفس المفهوم الموجود عندنا حول الله، حيث أن العقل لا يمكن أن يدركه، ولكنه موجود وله حضور في كل مكان، وهو أمر غيبي، ولكنه لا يغيب عن أي مكان والطاو هو الأصل، ولكن الموجودات يتخللها التضاد

والصراع بين الخير والشر، وعقول البشر هي التي تختار طريق الخير أو طريق الشر.

أين هو طريق الخلاص:

يقول أحد شعراء الطاويَّة: أنظر إلى الشجرة، فهي تصفرَّ وتعرى في فصل الخريف ثم تركن إلى النوم في فصل الشتاء، ثم تعود للحياة في بداية فصل جديد فهي لا تحزن في كل حالاتها.

أما الإنسان فهو في حالة صراع دائم بين الأمل واليأس، وفي حزن معظم أوقاته، مع أنه يخضع لنفس القانون الكلّي، لأنه يحكم على الأمور بواسطة عقله البسيط القاصر، ولا يسير في مسيرة الطاو.

في الوقت الذي يعيش فيه الإنسان تحت نور الشمس وعلى سطح الأرض، اختار أن يبني بيتاً، مغلقاً، وصار محتاجاً إلى النور والهواء، وعرضةً للأمراض المختلفة.

إن هذا الإنسان أعرض عن مسيرة الطاو وترك تلك الطبيعة الواسعة الجميلة التي منحها له بدون مقابل، ووضع نفسه في جدران ضيّقة سموّها المدينة والزقاق والشارع والمنزل، وبدل أن يأكل من الفاكهة الطبيعية، اشترى لوحة مرسوم عليها الفاكهة بأغلى الأثمان.

أصبح الإنسان مجبوراً أن يتعلم بعض العلوم التي توصله إلى أهداف مؤقتة، ثم تحوَّل للحصول على الثروات الطائلة.

وبدأ الصراع مع الآخرين، وصار الناس يقتل بعضهم بعضاً في سبيل هذه الثروات، وأصبحت العلاقات بين البشر ماديَّة وحيوانية، وحصلت الكوارث الإنسانية والحروب وساد الظلم والكذب والنتيجة، ظالمين ومظلومين.

الحضارة وليدة الظالم والمظلوم:

أصبح العديد من الناس طغاة وظالمين، واضطرَّ الآخرون لمحاربة هؤلاء

الطغاة، وهكذا تحوَّلت الحضارة إلى طرفين متصارعين، وتشبه هذه الحضارة دودة القز تفرز خيوطها الجميلة وتبني ذلك النسيج الجميل ثم تقتل نفسها بنفسها.

مظاهر الحضارة:

إذا نظرنا ودقَّقنا في مظاهر الحضارة على طول التاريخ، وجدنا أن إحدى معالمها الأهرامات المصريَّة، التي تعتبر مَعلماً من حضارة مصر القديمة، ولكن كيف بنيت هذه الأهرامات؟

لقد مات العديد من العبيد حتى قام هذا البناء الضخم.

وكذلك سور الصين العظيم الذي بُذلت في بنائه جهود عظيمة. فلا قيمة لهؤلاء العمال ولو ظُلموا وماتوا في سبيل بناء هذه الحضارة.

هذا الاستعباد الذي يقتل الإنسان من أجل إقامة معالم هذه الحضارة، حيث كان العمال يُسحقون بالأقدام كما تسحق الحيوانات دواب الأرض.

ولكن ما الذي تغيَّر داخل هذا الإنسان المتحضر خلال التاريخ؟

لقد تحوَّل الإنسان، إلى إنسان مغلوب على أمره، إما تاجر يشتري العبيد كما فعل المستعمرون، أو عبد ذليل يباع ويشترى بواسطة هؤلاء التجار، فهذا هو الإنسان المتحضر، وهذه هي الحضارة.

مصير الإنسان التائه:

ماذا أصاب الإنسان، وما سبب هذا الإنحراف الكبير الذي أصابه، بحيث صار يخنق نفسه كالأسماك التي تعيش في أماكن ضيقةو ولا تدري أن هناك بحر كبير تسبح في مياهه حرَّةً منطلقة.

الإنسان الذي يختار طريقاً غير طريق الطاو فهو يبني لوحدهِ، ويصبح أسيراً لعقله القاصر وسوف لن يصل إلى البحر الكبير، ولن يحظى بالسعادة والحرية، وسوف يكون سبباً لتأخر الحضارة والإزدهار.

الرجوع إلى الطاو:

علينا أن نرجع إلى الطاو، وإلى فطرتنا وقلبنا، وإلى الهدوء والاطمئنان الموجود في أعماقنا، نرجع إلى ذواتنا، إلى العقل الكلّي الذي يجري في جميع الأشياء، إلى العقل الذي ينمّي العشب والنبات في فصل الربيع ويخرج ثمرهُ في فصل الصيف. علينا أن نصل إلى المعرفة التي لا تأتي عن طريق العقل، لأن تهذيب النفس لا يأتي إلا عن طريق القلب والمكاشفة والإحساس بالطاو، عندها يحصل الإنسان على السلامة والسكون، وعندها ستنجلي جميع الهموم والاضطرابات والأحقاد، ويحل محلها القناعة والحب والعشق للطاو.

وأما التفكير بالعقل، فلا معرفة للطاو ولا للنفس، لأن الاثنان هما واحد، وبواسطة الحب والعبادة والموسيقى والرياضة الروحية والبدنية، والابتعاد عن الملذات وموائد الطعام المتعددة الأصناف.

علينا أن نلقي أنفسنا في أحضان الطبيعة، ونتأمل، عندها سيكون هناك جاذبية وحب وعشق للطاو.

هذا هو الفكر الطاوي الذي أسسه وقادَهُ المفكِرّ والفيلسوف «لاوتسو» العظيم الذي ولد سنة 604 ق.م.

نرى هذه المصطلحات هي مصطلحات صوفية فالرياضة الصوفية هي قطع الأفكار الشيطانية والماديّة، والرجوع إلى الفطرة، وإلى وحدة الوجود، والطريق ليس بالاستدلال بالعقل بل هي سير على طريق العشق والاستغراق بمحبة الله، التي تنبع من أعماقنا، وبواسطتها يمكن أن نعرف الله، وهي نفس الطريق التي توصل إلى معرفة الطاو والوصول إلى الاطمئنان والسعادة.

وكذلك يقول: «جان جاك روسو» إن الإنسان أصبح أسير الظلم والحرب، عليكم أن تحطّموا هذه القوانين الكاذبة التي خنقت الإنسان، وجعلت منه إنساناً في الظاهر، ولكنه في الحقيقة وحش وقاتل. إرجعوا إلى الطبيعة الخالصة، إلى الروح الأخوية المتساوية، إلى الحريّة.

إن هذه الأنظمة المعقدة التي اخترعها العقل منعت الوصول إلى المحبَّة والعشق، ارجعوا إلى الفضيلة بدل القدرة، هذه خطابات قالها روسو، وهي نفس خطابات المدرسة الطاوية التي تعود للفيلسوف «لاوتسو».

كونفوشيوس:

يختلف كونفوشيوس مع المدرسة الطاوية ولاوتسو التي تؤمن بالروح والروحانية، وترك الحياة المادية والرهينة.

جاء كونفوشيوس يدعو إلى إقامة المجتمع، وتحدَّث عن وسيلة بناء للتقدم الإنساني والحياة الاجتماعية، ولكنه بقي على مبدأ تقديس السنن القديمة.

في هذه المرحلة كانت الحضارة الصينية في مرحلة جمود، وقد حافظ المجتمع الصيني على هذه المبادىء التي أسسها كونفوشيوس ولاوتسو مدة قرون من السنين.

كان لاوتسو عرفانياً يؤمن بالفضائل الأخلاقية أما كونفوشيوس فقد كان يؤمن بالمجتمع وبالعقل والفلسفة، ولو اتّحد مذهب كونفوشيوس مع مذهب لاوتسو لكوّنا ديناً كاملاً.

سؤال وجواب:

سؤال: ما هو رأيك بفلسفة الطاو؟

ينبغي على الإنسان المثقف أن يسعى إلى تحقيق رسالة لجميع الشعوب، وخاصة شعوب العالم الثالث، وقد بيّنها الفيلسوف الأسود (فانون) وهو طبيب نفسي مولود في جزر الأنتيل الكاريبي، وقد عُرِف بنضاله من أجل الحرية، وهو من الشخصيات المهمة في العالم الثالث، وقد ترك تخصصه كطبيب والتحق بجبهة التحرير الجزائرية، وقد أوصى بأن يُدفن بعد موته في مقبرة «ابن مهدي»

وقد عمل المجاهدون لتطبيق وصيته لأن تلك المقبرة كانت في إحدى قرى الجزائر، وقد قتلَ الفرنسيون كل أهل هذه القرية.

كان «فانون» رجلاً عظيماً، كان يخاطب جميع شعوب العالم الثالث الذين يعانون الظلم والقهر: تعالوا أيها الرفاق لنبني أفريقيا ولكن ليس كما بُينت أميركا وصارت أوروبا رقم اثنين، وإذا فعلنا نفس الأمر فإن إفريقيا ستكون أوروبا رقم ثلاثة، وإذا كنا نريد أن نبني مثلهم فعلينا أن نسلِّم دولنا للإستعمار الأوروبي، لأنهم أقدم في بناء هكذا حضارة، نحن في آسيا وفي أفريقيا لم نقاتل من أجل أن نقيم فاجعة اسمها الحضارة، حتى نغيّر شكل الإنسان فقط، وأن نجعل من الإنسان ذو الشعر الأسود، مكان الإنسان ذي الشعر الأشقر.

يجب أن نعلم أن الضحية الكبرى للحضارة الغربية هو الإنسان والإنسانية.

علينا أن نبني إنسان جديد وفكر جديد، ولا نتأثر بمنافسة الصناعات الغربية، ولا أن يكون إنساننا كل همّه أن يصبح صاحب ثروة ومال وبسرعة جنونية، علينا أن نترك هذا السباق الجنوني، وأن ننقذ الإنسان من محنته، ولكن نحن بحاجة لطوفان نوح ليغرق كل ما بنته هذه الحضارة التي قامت فوق الأرض، ونحصل على جيلٍ قد تطهَّر من مظاهر هذه الحضارة، وبناء إنسان جديد يسعى إلى التكامل الأخلاقي والروحي ويكون هدفه العدالة بين البشر، وهذه المسؤولية تقع على عاتق مثقفي العالم الثالث، إن مثقفي الشرق هم من يمتلكوا عوامل بناء الإنسان، وهم أصحاب الأديان الطاهرة التي دُفنت تحت ركام الخرافات والعادات والتقاليد البالية.

يستطيع هذا المثقف أن يستفيد من قدرة الحضارة ويستخدمها في تكامل روح الإنسان الذي أصبح ضحية السوق الذي يفرضه عليه الرأسماليون، وصار قطعة الغيار التي يصنعوها.

عليه أن يكون سيد الآلة وصاحبها، عندئذ تكون الآلة منقذة للإنسان الذي يمتلك روحاً وإحساساً إنسانياً.

بدل أن يعمل الإنسان في هذه الحضارة مدة عشر ساعات يومياً، عليه أن يعمل أقل بكثير ليمتلك وقتاً يكون فيه حراً ليتفكّر ويتأمل ويعمل على تكامله المعنوي.

هناك نماذج خالدة، نستطيع أن نتأسى بها، كان عليّ أحدهم، فقد كان يحفر البئر في الصحراء ليخرج الماء ويُعينه أولاده، وبعد أن ينتهي من هذا العمل، يقول: هذا البئر ليس إرثاً لبني هاشم، هو للفقراء والمساكين في المدينة.

كان عليّ يتحمَّل العذاب والجوع وهو يقوم بعمله، وهو أعظم وأكبر من بوذا في تركه للدنيا والزهد فيها، ففي السنة الأولى للهجرة، عندما كانت المدينة مجتمعاً فقيراً يديره عدة أنفار من اليهود، والناس في قمة الفقر.

لم تمض إلا مدة قصيرة حتى تحوَّلت المدينة إلى مركزٍ للعمل، والحياة الاجتماعية والتجارة والحضارة والتعليم والتربية، وإعداد الجيش والسلاح والقدرة الدفاعية، ثم صارت بعد عشر سنوات، تقود الحملات وتهدد الأمبراطورات العظيمة مثل الروم والفرس.

وأصبحت مركزاً للمال والثروة، وفي نفس الوقت كانت مكاناً للعظماء من زهاد الليل وأسد النهار.

جاءت امرأة للرسول وكانت قد ارتكبت الزنا، ثم تربَّت في هذه المدرسة، وقالت للرسول بحضور الناس: أنا ارتكبت محرّماً أرجو أن تقيم عليَّ الحد، ولكن الرسول الذي تملأ قلبه الرحمة قال لها: إذهبي حتى تضعي حملك.

وبعد أن وضعت المرأة طفلها، جاءت إلى الرسول، فقال لها إذهبي وارضعي طفلك وحينما يصبح غير محتاجاً إليك تعالى، ثم تعود بعد سنتين وهي تحمل طفلها وبيده قطعة من الخبز، فتقول: يا رسول الله، انظر أن ولدي بدأ يعتمد على نفسه.

وهذا يعني أن التربية الدينية الصادقة انتجت هكذا نماذج صادقون.

كان بعض الرجال من المقاتلين يتقدمون لمقاتلة العدو، قبل أن يلتحم الجيشان فيُقتلون.

كان عليّ يقول: «**من لا معاش له لا معاد له**» أي أن المجتمع الفقير ليس له دين، والدين يصبح خرافة عند هؤلاء الفقراء وهذا ما نراه في المجتمعات الفقيرة. فمن كانت حياته المعاشية مترديةً، فإن حياته المعنوية مترديةً أيضاً.

إن الإسلام منذ اليوم الأول الذي جاء فيه بنو العباس توقف وما يزال كما كان عليه في ذلك الوقت.

كان قبل ذلك هناك مدارس مختلفة ومتعددة والأفكار كثيرة في فهم الإسلام وفي تحقيق معاني الإسلام.

ولكن بعد القرنين الثالث والرابع، جاء أحد خلفاء بني العباس، وبصورة مفاجئة واصدر أمراً بدفن كل الثقافة الإسلامية وقال: أن على الجميع أن يعتقدوا بالجبر، وبدأ علماء السلطة يفتون كما يريد الخلفاء العباسيون، أما العلماء المخالفون فعليهم أن يغلقوا أبوابهم لأن الإسلام قد انتهى ولم يعد هناك تكامل ولا تحوُّل وأغلق باب الاجتهاد وانتهت روح المعرفة الإسلامية، باعتبارها روحاً متكاملة ومتجددة، وحلَّ محل هذه الروح، مؤسسة ثابتة غير قابلة للتغيير، ولكن عند مذهب الشيعة، ولم يقف الأمر ولم يغلق باب الاجتهاد، لأن الشيعة لم يكونوا خاضعين للنظام، ولم يقبلوا الإسلام الذي يأتي عن طريق السلطة، وأصبحوا يمتلكون ثقافة خاصَّة بهم، وقد نقلوها عن طريق أهل البيت.

بقي باب الاجتهاد مفتوحاً عند الشيعة، فكان كل عالم له رسالة خاصَّة به في الفقه والأصول، ويأتي الذي بعده له نظرته الجديدة، وكان كل عالم يعطي إبداعاً جديداً وأحكاماً جديدة، حسب الاحتياجات ولكن الأصول ثابتة.

وعندما جاءت الدولة الصفويَّة، توقفت حركة الاجتهاد، وصار العلماء يأخذ الواحد منهم عن الذي قبله، وهكذا كانت الحكومات هي السبب في توقف الحركة الفكرية في الإسلام.

لقد كان الاجتهاد يسعى للأفضل وللتغيير واكتشاف أحكام وقوانين تناسب كل زمان ولكن هذه الأحكام الجديدة لا تتجاوز الأصول والأهداف الإسلامية الكبرى.

الدرس السادس

الدرس السادس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هناك مرحلتان للتعليم لمعرفة الأديان:

المرحلة الأولى: هي تحقيق شامل لفهم الدين أو المذهب الذي نريد أن نعرفه.

المرحلة الثانية: بعد دراسة هذا الدين أو المذهب بشكل علمي وموضوعي، وبعد التعرُّف على المسائل الاعتقادية والتاريخية والحياتية، يتكوَّن عندنا مفهوم كلّي، نستطيع بعدها أن ننتقد فنقبل أو لا نقبل، ونقيِّم تلك الأمور التي عرفناها، وإذا أصدرنا حكماً قبل إكمال هذه المعرفة والبحث، وهي مرحلة التحقيق بكل نواحيها، فنكون أناس عاديون، ولسنا طُلّاب علمٍ حقيقي ولا نستطيع أن نصبح علماء.

البحث حول دخول الإسلام إلى إيران:

هناك بعض العلماء يقولون قبل أن يدخلوا المرحلة الأولى من التحقيق.

أن الإسلام عندما دخل إلى إيران أوجد فيها حضارة عظيمة، وجعل للشعب الإيراني مقاماً كبيراً وقادهم إلى طريق الهداية والحق.

فهم يُصدرون الحكم ويبدأون بذكر الآثار الحسنة للإسلام على المجتمع الإيراني. والبعض الآخر يبدأ بذكر الأمور السيئة التي رافقت دخول الإسلام إلى إيران، فهم يقولون أن الإسلام أنهى تاريخ إيران الحضاري وجعل الشعب الإيراني خاضعاً للعرب.

وهذا الحكم أيضاً هو غير عادل لأنه لم يكن نتيجة تحقيق وبحث.

التحقيق حول الإسلام:

على جميع المحققين الذين يعتقدون بالإسلام أو الذين ينكرونه، أن يضعوا اعتقاداتهم جانباًو سواء كانوا متدينين أو مسلمين أو غير مسلمين، وأن يبدؤا بكل نزاهة وغيرةٍ علمية وتحكيم للضمير المجرّد بالبحث والتحقيق.

أولاً: يجب أن نعرف الوضع الثقافي والتعليمي من جامعات ومدارس، ومكتبات وكتب وعلماء وفلاسفة والمستوى الحضاري في العصر الساساني.

ثم نأتي ونبحث عن الوضع في إيران، في القرن الهجري الأول والثاني والثالث كيف أصبحت الجامعات، ومن ظهر من النوابغ في القرون الثلاثة الأولى، وعن أصحاب الاختصاص في الآداب والفقه والفلسفة، ومن هم الذين وصلوا إلى قمة العلم والنبوغ.

هذا كله يجب أن يُبحث، إن كنت مؤمناً بالإسلام أو مخالفاً.

وبالمقايسة بين الحالتين، نستطيع ان نصدر حكماً حول دخول الإسلام إلى إيران، وهل جلب الحضارة والتقدم، أو جلب الجهل والتخلف، هل رفع من مستوى العلم والفضائل الأخلاقية والمعرفة وبقية العلوم؟ أم كان سبباً في تراجع هذه العلوم.

تحقيق كارليل حول رسول الإسلام ﷺ:

إن الكاتب الإنكليزي المعروف «كارليل» الذي عاش خلال القرن الثامن عشر في بريطانيا لا يملك في الدنيا سوى القلم.

لقد عاش في زمن، كسِبَ فيه شهرة عظيمة علمية وأدبية، وصار محبوباً لدى جميع المجتمعات.

في ذلك الزمان الذي عاش فيه، كانت القدرة بيد الكنيسة العظمى، وقد

سخَّرت الكنيسة قدرتها كلها ضد الرسول الأكرم ﷺ وكانت توجّه التُّهم دائماً للإسلام ولرسوله الكريم، وفي نفس الوقت كانت الحملات الإستعمارية ضد البلدان الإسلامية قائمة لضرب المسلمين وقتلهم ومحاربة عقائدهم وثقافتهم.

في هذا الوقت الحسّاس والعصيب، يظهر هذا الكاتب وبكل شهامة فيسطِّر أجمل التعابير والحروف والجمل الأدبية في الدفاع عن رسول الإسلام ﷺ خاصة في تلك الفترة المهمة، التي لم تسمح حتى للكتّاب المسلمين أن يدافعوا بهذا الشكل، فكان هو البطل الجريء في فكرهِ وموقعهِ المهم، لأنه استطاع بعد التحقيق والبحث أن يتمكن وأن يكون مطمئناً إلى فهم تلك العقيدة أو المدرسة التي يبحث عنها، وعرف حقيقتها معرفةً صادقة وواعية وعلمية ودقيقة وتبحَّر في عمقها، بعد أن تجرَّد من عواطفه وميوله وإحساساته ووصل إلى الحقيقة والواقع.

عند ذلك استحضر العقائد كلها وجلس يدقق ويقيّم بعين مفتوحة واستطاع إصدار الحكم أمام الجميع.

فنحن في المرحلة الأولى من البحث والتحقيق نحتاج إلى أكثر من الصدق، والشهامة والعلم.

دخول إلى عالم الهند:

ظلّت الهند حوالي ثلاثة آلاف عام منبعاً للحضارة والعرفان والتصوّف.

إن معرفة روح الهند من الجانب العقلي مسألة معقَّدة وصعبة.

لقد تركت الروح الهندية، جوانب جمالية وكذلك تركت جوانب انحطاط نتيجة الغرق والمبالغة والإفراط بالتفكر العرفاني.

هجرة الآريين إلى الهند وإيران وأوروبا:

هاجر الآريون إلى الهند من شمال بحر قزوين ونواحي تركمانستان، خلال القرون الثلاثة قبل الميلاد، ودخلوا إلى إيران من نواحي شرق إيران، كان الآريون قبائل متعددة من الجنس الأبيض، وكانوا يمتلكون تفكيراً وشعوراً

واحداً، وكانت اللغات الأولية والأديان متشابهة في الهند وإيران وحتى اللغة الفارسية القديمة والسانسكريتية لهجتان للغة واحدة.

وقد بنوا قوميتين، هما القومية الهندية في الهند، والقومية الفارسية في إيران، والآريون الذين هاجروا إلى الغرب، انشأوا هناك الحضارة الغربية.

الحضارات الكبرى وليدة الهجرة:

الحضارة هي وليدة الهجرة، أما الذين لم يهاجروا، وبقوا في مدنهم فقد بقوا متخلفين، والذين هاجروا ليحصلوا على أوطان جديدة، أصبحوا شيئاً آخر، وتحولوا إلى أناس متحضرين وبنوا أوطان وثقافات ومجتمعات كبيرة.

فالآريون الذين هاجروا بنوا حضارات كبيرة، وعلماء الاجتماع الغربيون يقولون عن هؤلاء الذين لم يهاجروا وبقوا في الهند (هم تنابل وكسالى) لأن الروح الهندية هادئة وجامدة وتفكر دائماً فيما وراء الطبيعة، ولأن الآريون عندما دخلوا الهند وجدوا أرضاً خصبة كثيرة العشب والغذاء والمياه متوفرة، على خلاف إيران فقد كانت خراسان تحتاج لحفر مئتين متر للحصول على الماء.

وحسب قانون «توينبي» المؤرخ المشهور يقول: إن الحضارة هي وليدة الصراع بين الإنسان والطبيعة، وإذا لم يكن صراع فإن الإنسان يتوقف ويصبح خاملاً وغير متطور، ويقول علماء الاجتماع الأوروبيون: إن الإنسان حينما لا يمتلك عملاً فإنه يصبح أسير الخيالات والأوهام، وهذا الأمر موجود عند الطبقة البرجوازية في أوروبا.

نرى فكرهم وفلسفتهم ومعاناتهم غير معروفة وهم يعانون من العذاب الروحي الذي لا يُعرف سببه وليس له اسم.

أما الطبقة العاملة التي تعاني من الفقر والاحتياج والأمراض فهم يبحثون عن الرزق والحياة المادية ومعاناتهم ليست مبهمة، لأن النار التي تحرقهم معروفة، والآلام التي يعانون منها واضحة.

هذا التفسير قد يكون صحيحاً إلى حد ما، ولكن ليس دائماً، ولو أن هذه

النظرية صحيحة لكان على الهنود في أميركا الشمالية، أن يكونوا أعمق روحاً وأكثر تجرداً وإحساساً من الهنود في الهند، ولكان على الأميركيون أن يكونوا مظهراً للعرفان والتصوف والمعنويات الروحية.

على كل حال، فقد أظهرت التحقيقات أن من يسمَّون بالطبقة النجسة في الهند، هم من كانوا يمتلكون حضارة مزدهرة قبل ثلاثة آلاف سنة، ولكنها دُمِّرت بعد أن هاجمهم الآريون واحتلوا بلادهم.

فالآريون قتلوا وبدون رحمة أصحاب الأرض الأصليين سواء في الهند أو في إيران أثناء الهجوم عليهم، ويقول أحد الكتّاب الآريين وهو متعصب (لعرقه): أن معنى كلمة آري يعني الإنسان الخشن القاتل الذي يسفك الدماء.

ولكن البوذيون يقولون أن كلمة (آريا) تعني المقدّس والشريف، ويصبح واضحاً أن البوذيون أعطوا معنى آخر مختلف عن المعنى الأصلي.

والأديان الأولى في إيران والهند، هي أديان عبادة الطوطم، وعبادة الأرواح والسحرة.

الدين الودائي (ودا) يعتبِر أكبر الأديان في الهند:

إن دين «ودا» و(البراهمة) وهم الكهنة والروحانيون و(جينسيم) وهو يحذِّر من إيقاع الأذى بالحيوان وبكل ذي روح.

هذه هي أقدم الأديان في الهند.

البقر كبقية الرموز الأخرى:

في كتاب زرادشت نجد أن البقرة كانت إلى جانب النهر وكانت ترافق الإنسان الأول (كيومرث) يعني آدم، ثم تحوّلت إلى قصبتين خضراوين، واحدة في الجانب الأول للنهر والثانية في الجانب الآخر.

والبقرة حيوان مقدّس في الهند لا يأكلون لحمها، وهناك أماكن في الصين

والهند، من يعبد الحيَّة، وهي تتجسد بروح جدّ هؤلاء الأقوام، والقرد أيضاً كان طوطماً يقدسونه.

والخلاصة هي أن الهند مهد الأديان العجيبة ولها مظاهر عديدة في العبادة، وتجليات الروح المختلفة، ولكن لها اصول مشتركة لروح العبادة.

الدين الودائي (ودا):

هو مجموعة من الكتب تُعرف بكلمة (ودا) كتبت خلال أقل من ثلاثة آلاف سنة، وهو دين مهم جداً، وهو أساس أديان الهند المختلفة، ليس لهم نبيّ أو أنبياء حتى الذي وضع هذا الدين غير معروف.

إن بعض المتون الودائية تمتلك جمالاً وعمقاً في المعنى، بحيث أن الإنسان ينجذب لها ويبقى متحيراً كيف يمكن أن لا يكون لهذا الدين اتصال بعالم الغيب.

الدين باعث للاطمئنان: (شوبنهاور)

يقول الفيلسوف الألماني (شوبنهاور): عندما قرأت (الأوبانيشاد) شعرت بمتعة لم أشعر بها طوال عمري ولم أقرأ مثلها، ثم يتابع: إن قراءة هذا الكتاب كان سبباً لانبعاث السكينة في نفسي، ليس في حياتي فقط، ولكن حتى في موتي وبعد موتي.

في بعض مقاطع أو أناشيد الأوبانيشاد، روح عرفانية متعالية وأفكار عميقة، ولا يمكن أن يصدق من يقرأها أنها غير مرتبطة بعالم الغيب، أما من أين جاءت، ومن كتبها، ومن نقلها فهذا لا يعرفه التاريخ. إن (ودا) هي الاسم الأول لهذه الكتب وكلمة (ويديا) تعني المتبصّر أو علم البصيرة وهو نوع من المعرفة.

التوحيد والمعرفة الذاتية تصدر عن البصيرة في الإنسان:

في العلوم الإسلامية، إن جميع الانحرافات الروحية ناتج عن الخوف

والمنفعة والجهل، وإن التوحيد هو الباعث والسبب لزوال هذه الأمور الثلاثة.

والتوحيد يجعل الإنسان حرّاً في الدنيا لأنه يعتمد على الله سبحانه، ولا يعتمد على أحداً غيره، وحينما يكون الإنسان موحداً فإنه لا يخاف ولا يرهب جميع المخاطر، ويكون مطمئناً في حياته ومستقبله.

ومن أجل تأمين مصالحهِ لا يتملق ولا يخضع لأحد والموحّد ينظر إلى الكون نظرة شاملة، تصونه من الجهل واليأس، وهو عالم وصاحب معرفة وبصيرة، وليس المقصود بالجهل هو عدم العلم، لأن هناك الكثير من العلماء ولكنهم جُهّال، فالعلم هنا هو المعرفة الوجودية التي تزيل الجهل والعمى.

هذه المعرفة والمشاهدة والمناظرة، قد تكون عند عامل بسيط أو فلاح متواضع، ولكن قد نفقدها عند أستاذ كبير، أو عالم اجتماع أو فيلسوف، أو عالم دين.

العلم الذي يحمل فلسفة سقراط، هو الحكمة وكذلك فيتاغورس يقول: نحب الحكمة ونسعى من أجلها ولكننا لا نستطيع أن نصِل إلى مكانتها العالية.

ومن الطبيعي أن هذه الحكمة لن يصل إليها إلا من سعى لمشاهدة ما وراء العقل وهذه المشاهدة تكون بالقلب، فتؤثر على مصير وسلوك الإنسان، وهي تغيّر الإنسان ولكنها لا تغيّر العالم.

العقل النوراني في إيران القديمة:

يطلقون هذه الكلمة (العقل النوراني) على بعض الشخصيات الكبيرة مثل زرادشت والشرارة المقدسة (ويديا).

الفكر المقدس يسمى في الهند (ويديا) ويسمى أيضاً النور المقدس، فهو يضيء عمق الإنسان، ونتيجة لذلك تدخل حقائق العالم بصورة مباشرة إلى عمق الإنسان الطاهر النقي ويشعر بها في نفسه ويصبح إنساناً نورانيا.

العلم والحكمة القرآنية هما نور:

العلم العرفاني والحكمة المأخوذة من القرآن يعبر عنها حديث الرسول ﷺ فيقول: «**العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء**» و«**الحكمة ضالة المؤمن**» **وهي أن المؤمن يبحث عن الحكمة، كما يبحث الهندي عن (الويديا) أو العقل المقدس أو الفلسفة، يقول دين (ودا) أن كل علم خال من الحكمة والمشاهدة بالقلب، هو علم جهل وعلم أعمى.**

يقول علماء الاجتماع أن المرحلة الأولى من التعليم هي طريق السمع:

في هذه المرحلة لا يوجد كتابه ولا قراءه، في الجاهلية، كان امرؤ القيس يقول الشعر وهو يركب جمَلَهُ، ثم يعيده في (سوق عُكاظ) ويردده الآخرون.

وكان التعليم في صدر الإسلام، آيات قرآنية تُسمع، وأحاديث الرسول تسمع وتحفظ من شخص إلى آخر.

بعد ذلك وُجدت الكتابة، وأصبح الناس يدوّنون رسائلهم وأفكارهم وعقائدهم على الجدران والعظام والخشب والصخر والجلود على شكل رموز، ثم يؤخذ المعنى بصورة مباشرة ويوصلها إلى الذهن.

إن كل ما ورد في كتاب (ودا) هو من المسموعات، وفي الإسلام نجد الحالتين، السمعية والكتابية، ويقول التاريخ أن الرسول كان أمياً ومجتمعه كانوا من الأميين، ولكن هذا النبي الأميّ أصبح معلّماً للبشرية.

أول خطاب جاء في القرآن: «اقرأ» وليس إسمع، لم تكن رسالة عادية، بل هي آيات كتبت على حرير أو نور تظهر أمام عيني الرسول، فيقول: لا أعرف القراءة، ولكن الأمر يُكرَّر مرّة ثانية، ثم الثالثة، فإذا بالرسول يقرأ، وهكذا تبدأ دورة القراءة في هذا المجتمع الأمي، ورائد هذه النهضة الفكرية هو نفسه الرجل الأمي.

القرآن يُقسِم بالقلم وما يسطرون، ويسمى هذا القرآن بالكتاب، وقد كُتب في هذا الكتاب جميع الحقائق والقوانين والنواميس، وهو كتاب مبين، وهو مدوّن في صحف مطهّرة في لوح محفوظ.

وفي يوم القيامة، وقت الحساب والسؤال يكون كل شيء قد كُتب، وكل إنسان سوف يُسلِمَّ كتابه إما بيمينه أو بشماله، وفي هذا الكتاب دُوّنت أعماله كلها.

طبقات المجتمع الهندي:

كان المجتمع الهندي ينقسم إلى طبقات واليوم فقدت وضعها الرسمي ولكن من الناحية العلمية ما زال لها وجود محدود.

الطبقة الأولى: وهم المقاتلون الذين سيطروا على الهند وانتصروا على السكان الأصليين، وصاروا هم الحكومات والملوك والسلاطين. والمُلك وراثياً في عوائلهم ويسمون **(الكاتشاريا)**.

الطبقة الثانية هم القديسون والروحانيون: وهم الذين يؤمّنون الإحتياجات المعنوية للناس ويعتقدون بوجود قوى غيبية، وبأن هناك أرواح شريرة تعيش في الغابات والأنهار والأماكن المظلمة وفي الجبال.

ويعتقدون أيضاً بآلهة الخير، وبأن أرواح الآباء والأجداد، تحتاج لذكرهم وتقديم الأضاحي وإقامة الصلوات لهم وهؤلاء الروحانيون هم البراهمة.

والطبقة الثالثة: هم التجار والصناع والفلاحون.

أما الطبقة الرابعة: يسمونها الطبقة **(النجسة)** وهم ما يزالوا موجودين ولكن بشكل محدود وقد سماهم غاندي (عبيد الخالق) ويُسمّون الغرباء لأنهم من غير الجنس الآري.

أكبر عمل للبراهمة هو تقديم القرابين:

كان البراهمة الروحانيون يقدّمون الضحايا والقرابين للآلهة وللأرواح الطيبة، وهذا العمل باعتقادهم يجلب رضا الآلهة لأنها تحتاج إلى اللحوم

والدماء فهي جوعى ولأن الأجداد أيضاً بحاجة إلى هذه القرابين بالإضافة إلى الدعاء والصلوات.

تقديم القربان كان عملاً عادياً بالنسبة للبراهمة وهم يقنعون الناس بهذا العمل، حتى أن رب العائلة يقوم بنفسه بهذا العمل ولكن عليه أن يقوم به حسب الشروط والأحكام الدقيقة، ولو لم يكن هناك وجود نيّة صادقة، المهم (التقنية) التي يقوم بها المضحي.

وكذلك نجد في معظم الأديان، حتى عند المسلمين، ففي الحج يقول أحدهم للآخر إن حجّك وصيامك وصلاتك باطل، إن لم تردد الكلام بالشكل الصحيح، ولم يقل له تعالى أُصحح لك قراءتك وأُصحح لك نيَّتك.

مع أن الإسلام يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**» وهكذا تصبح الطقوس هي الأهم وليست المشاعر والآثار التي تترتب عن هذه الأعمال العبادية.

وهذا لا يعني أن علينا أن نلغي هذه الطقوس، لأن النظام وحفظ الشكل وعدم الانحراف هما وسيلة لحفظ روح العمل.

هذا العمل العبادي، هو إحساس وعشق ومحبة وإخلاص وإيثار وإيمان.

على الإنسان أن يكون صادقاً مع نفسه ومع معتقده الذي يؤمن به، وإلا فإن هذه الطقوس لن يكون لها أثر يُذكر.

وإذا نظرنا إلى التوراة، نجد أكثر من سبعين صفحة، تتحدث عن المذبح والذبح وعمليات تقديم الأضاحي، وهل يمكن التصديق بأن الحاخامات يمكنهم القيام بهذه الطقوس، التي لا يقبلها العقل.

الروحانية عند الإسلام:

الروحانية عند المسلمين تعتمد على العلم والعلماء، وهم لا يتميزون عن الآخرون بامتلاك الدين، فهم أناس من عامة الناس، وامتيازهم هو بسعيهم في تحصيل العلم مثل الطبيب والفيزيائي والأديب والمؤرخ.

وهذا ما نراه عند الشيعة، فإن نائب إمام الزمان ينتخبه الناس، وهو الأعلم من الآخرين.

التوحيد والشرك:

يقول علماء الاجتماع أن البحوث التاريخية والدينية تقول أن الإنسان كان موحداً، ولكن الكثير من الناس انحرفوا عن التوحيد وصاروا يعبدون أشياء كثيرة.

جاء الأنبياء ليقولوا للناس: تعالوا اعبدوا الله الواحد.

وصحيح أن الشرك موجود بأشكال مختلفة ولكن هناك توحيد في قلب ذلك الشرك.

إن أكبر أديان الشرك هي الديانات الهندية، ولكن التوحيد موجود فيها أيضاً وله معنى جميل وكبير ويعتقدون بوجود إله أكبر وأفضل من خلال تلك المعاني الجميلة التي يؤمنون بها، وهي موجودة في أجمل الأناشيد الهندية الصوفية.

الدرس السابع

الدرس السابع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تعتبر الهند محيطاً مهماً من ناحية الثقافة الروحية، وهي تشمل الحقائق والأساطير والخرافات فلا يوجد في العالم والتاريخ ثقافة عرفانية أغنى من الثقافة الهنديّة.

لذلك علينا أن نتعرّف على الهند وأديان الهند معرفة دقيقة. فالثقافة الهندية تحتوي على العمق وعلى الأحاسيس الرقيقة والمرهفة. وإذا قارنا بين الثقافة الهندية والثقافة اليونانية في القرون الثلاثة الثالث والرابع والخامس قبل الميلاد، في زمن سقراط وأفلاطون وأرسطو، نجد أننا ننتقل من مرحلة التعليم الثانوي إلى مرحلة التعليم العالي، من فكر فيلسوف شاب، إلى روح عظيمة مملوءة بالعجائب. فهذا الشرق المتخلِّف يمتلك نوابغ عرفانية وروحانية خلّاقة.

إن عالم المادة والثقافة البرجوازية، خلقت من الإنسان حيوان اقتصادي، وجعلت البشريَّة تدور في فلك القدرة العلمية والصناعية. ولكنها فارغة من الداخل، وجامدة، وليس لها عمق يُذكر، جعلت الناس أقوياء وأذكياء يعيشون ظاهر الحياة، ولكنهم ضعفاء الروح والأخلاق فالإنسان اليوم بدأ يتمرّد على هذه الثقافة التجارية والصناعية. ونرى اليوم في أميركا وبريطانيا، روح التمرُّد عند الإنسان. وقد دفعت به أن يتوجَّه إلى الشرق، يعني إلى الهند وثقافتها.

فاليوم هناك تطلعات فئة من الشباب المثقف الغربي يهفو إلى المشاعر الروحية والمعنوية، ويعتقد بوجود هذه الأمور في الهند. أما نحن ما زلنا نتأثر بالغرب وبالحضارة الغربية، التي حصل أصحابها البرجوازيون على ثرواتهم من استعمار البلدان الفقيرة والحروب المدمِّرة.

ولكن أبناء هذه الحضارة من المترفين، يلجأون اليوم إلى الشرق، لأن

حضارتهم لم تحقق لهم الأمان الروحي، أما نحن في الوقت الذي يجب أن نستفيد من هذا العامل المهم الراقي والسامي نصبح أسرى لتقليد حضارة ولأعمال لا تجدي نفعاً. فلذلك إن معرفة الهند بلداً وتاريخ وثقافة روحية، ستساعدنا على معرفة الإسلام الذي يُعتبر العرفان من أهم عناصره البنّاءة.

في الغرب تمرُّد على الماديَّة الجافّة، وفي الشرق تمرُّد على الأمور المعنوية والعرفانية وانجذاب شديد إلى الأمور الماديَّة وخاصة عند المثقفين. بعد أن كان الغرب في القرن الثامن والتاسع عشر مندفعاً بشدّة نحو الحياة الماديَّة المترفة، واليوم قد أشبع رغباته كلها، وبدأ ينسحب ويتمرَّد. ونحن بسبب تخلّفنا ولمدة ثلاثة قرون عن الغرب، أصبحنا نبتعد عن الأمور المعنوية وعن الدين، ونقترب شيئاً فشيئاً إلى الفكر الماديّ الغربي. إن هذا الفكر يؤدي إلى ضعف الروح العرفانية، واستبدالها بروح جافة ضعيفة، لذلك أن معرفة الهند وثقافتها ليس من أجل تحقيق علمي فقط، بل هو عامل مقاوم مهم لتلك الدعوة المادية.

عندما كنتُ أدرس في أوروبا، كنت أحس بروحي قد بدأت تسير نحو الجفاف، تلك الروح التي كانت مملوءة بالروح الشرقية والقلب الذي ينبض. ثم بدأت أحس بالنقص الناشيء عن فقدان هذه الأحاسيس العرفانية، وصرت أتمنى أن أكون صوفياً، حتى ولو صوفياً مفرطاً، لذلك كنت الجأ لقراءة أشعار (مثنوي) والكتب الهندية الودائية والأوبانيشاد وهذه القراءة منحتني الوقوف في وجه هذه الهجمة المادية التي لا روح فيها لأنني حينها لم أكن متعمقاً في العلوم الإسلامية ولا يمكن للإنسان أن يجمع تلك العلوم بكاملها، ولكن كنت أشعر بأنني أعرف الإسلام وهو يعرفني.

من عوامل الجمود والتخلُّف:

الإنسان بطبعه يقاوم كل كلام جديد، وكل تقدم وفكر جديد، وهو يستسلم للسنن والأفكار التي يمتلكها.

إن مشركوا قريش كانوا يقولون للنبي في بدء الدعوة الإسلامية: إن آباءنا وأجدادنا كانوا يعبدون الأصنام، ونحن لن نغيِّر ما تعودنا عليه.

وكذلك اليوم، فالذين لا يملكون إنصافاً علمياً إذا قلت لهم شيئاً، أو جئت بطريقة أخرى لتغيّر من عاداتهم وتقاليدهم السابقة، قالوا عنك أنك كافر ومنافق، فإذا وضعت اليوم كوباً من الماء على منصَّةٍ للخطابة، يقولون رسول الله لم يكن يضع الماء عندما يخطب، وهذا العمل ليس من الأصول والعادات الإسلامية. وعلى أية حال، فإن هذا أمر طبيعي فكل من كانت عنده أفكار جديدة، أو يمتلك برنامجاً جديداً، عليه أن يتحمل جميع ما يقال ضده.

هناك الكثير ممن يريد التحدث بثقافة جديدة، ولكنهم لا يمتلكون الجرأة، ولا توجد عندهم قدرة التحمل. لذلك لم يستطيعوا أن يقدّموا شيئاً، وأعتقد أن هذا نموذج لجهاد النفس.

العادات والتقاليد مسحت الأفكار والكلام:

المستعمرون لا يريدون أن يصبح المجتمع مثقفاً ويخشون من انتشار الوعي الإسلامي الحقيقي وأن تكون العناصر الخيّرة هي التي تدير الأمور ويسعون إلى تفتيت الوحدة بين مختلف الطبقات لأن إقامة مجتمع إسلامي موحَّد يضرّ بمصالحهم فهؤلاء لن يسمحوا للأقلام المفكرة والألسن الناطقة أن يثقفوا الناس وأن يقدّموا خدمة للإسلام. ولن يسمحوا للعلم والبحث أن يقدم خدمة للدين، ولن يسمحوا للتراث الديني العظيم والصحيح أن يظهر إلى الوجود ويصبح حرّاً وأن يبعث الحريّة والحياة والمعرفة، والشعور بالمسؤولية.

عندها يصبح العالم الإسلامي عالماً واحداً متحداً من شمال أفريقيا إلى الخليج الفارسي، إلى الشرق الأقصى تسوده ثقافة واحدة وإيمان واحد.

- إن عمر هذا العالم أكثر من ألف سنة، وهو عمر مشترك ومصير واحد.
- هذا العالم الإسلامي الذي يمتلك الثروات الكبيرة التي لا حدود لها.

وإذا حدث هذا، فإن الثقافة والوحدة سوف تعمّ، وإن عوامل النهضة والمعرفة الموجودة في هذه الثقافة الإسلامية سوف تظهر من تحت غطاء تلك العادات الخرافية والمنحرفة، وسوف توجد شعلة منيرة تضيء دنيا الظلام الذي

أحاط بالإسلام وتوقظ هؤلاء المسلمون الذين ناموا واطمأنوا للتلقين، وسوف يتخذ الإسلام طريقاً ومنهجاً صالحاً حتى ينحني العالم بأكمله لتلك الحركة الفكرية والنظام المتقن والمحكم، لهذا الدين الذي كان روّاده يعيشون في الصحراء، والذين بنوا صرحاً عظيماً في ذلك الوقت، وقدرة كبيرة لا تقهر. ولكن للأسف جاءت بعد ذلك حكومات ظالمة حكمت المسلمين باسم الدين قروناً من الزمن ومهّدت للمستعمرين أن يحكموا هذه البلاد الإسلامية.

بالرغم من كل ذلك فقد شهد العالم الإسلامي في فترات متباعدة، شخصيات إسلامية مجاهدة تحمل الفكر الصحيح، مثل السيد جمال الدين الأفغاني، الذي عمل على نشر الإصلاح الديني والسياسي، وقد انشأ مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» وقد كان يتنقل في عدد كبير من البلدان، فقد ذهب إلى الهند، وحجّ إلى مكّة، واستقرَّ فترة في أفغانستان، ثم إلى تركيا ومصر وباريس وروسيا، ومكث فترة في ألمانيا ثم ذهب إلى إيران والتقى بشاه إيران ناصر الدين، وكان قد دعاه إلى بلاده ثم أخذ يضيّق عليه فسافر إلى لندن ومنها إلى الأستانة بدعوة من السلطان عبد الحميد، وقد طلب منه عدم التعرض لشاه إيران، وأن لا يحرّض على خلعه فصار يكتب باسم مستعار في بعض الصحف المصرية، وكان واسع الاطلاع ويتقن لغات عديدة، كريم الأخلاق.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ (إقبال اللاهوري) فقد بنى هذا الرجل في الهند إسلاماً وثقافة أخافت منه المستعمرين.

كان يومها المسلمون أذلّاء مستضعفون، وقد رفع الغرب المستعمر، شعاراً ضد هؤلاء المفكرون، وقرّر أن لا يظهروا على وجه الأرض وأن يحاكموا، وأن تشوَّه سمعتهم، حتى ينفّرَ الناس منهم ولا يتأثروا بهم، وهؤلاء المستعمرون أذكياء وماهرين، حيث عملوا على تحطيم ثقافتنا من الداخل، ودخلوا إلى زوايا منازلنا، وتدخَّلوا في أذواقنا ومشاعرنا.

كان أغلب الناس في مجتمعاتنا من الأميين لا يمتلكون وعياً ولا ثقافة.

إن لم تتوجهوا أنتم أيها المثقفون فمن الذي سيقوم بهذه المهمة، وهذا

الواجب؟ أنتم أيها الطلبة عليكم أن تأخذوا بيد هذا المجتمع وترفعونه إلى الأعلى، وتجعلونه في المستوى الإنساني المطلوب، لأن هذه الفاجعة الكبرى التي تصيب العالم الإسلامي والتاريخ والمستقبل، تقع على عاتقكم أنتم، في المجتمع التقليدي النائم، لذلك على الإنسان المثقف أن يحمل أعباء جميع الناس على عاتقه، أما في المجتمع الواعي المثقف فالإنسان والفرد يتحمل مسؤولية نفسه فقط.

إن مجتمعاتنا متخلّفة وراكدة لا تتقدم، والجهل والانحراف الديني، واختفاء الدين الحقيقي يعمّ أوساط المجتمع الإسلامي، وعلى المثقف أن يتحمَّل المسؤولية بكل ثقلها، لأن هذا العمل من أجل الجميع وفداءً للجميع.

علينا أن نتذكّر كيف كان السيد جمال الدين الأفغاني يصرخ بصوت عالٍ، وقد لخَّص حياته بصرخته حتى يستيقظ المسلمون في أفريقيا وآسيا من قيود الإستعمار الإنكليزي والفرنسي والبرتغالي والإيطالي والإسباني وحتى يرجع المسلمون إلى الإسلام والقرآن.

كان ينادي بالرجوع إلى الجهاد وعدم الهوان، وكان يقول عليكم أن تتركوا قراءة العوذات واستعمال البخور وهذه الأوراد والأذكار، وأن تعودوا إلى القرآن وتعاليمه حتى يمكنكم طرد المستعمرين.

كان يدور في الهند وأوروبا وإيران وتركيا كالروح الملتهبة المجروحة يصرخ وينادي وينبِّه الغافلين من غفلتهم.

إن السيد جمال الدين الأفغاني، لا يعتبر مصلحاً إسلامياً فقط، بل يعتبر شخصاً مجاهداً ضد الإستعمار في العالم، ومحرّكاً للشعوب ضد المستعمرين.

وهو من أوائل الذين أعادوا النهضة الإسلامية الأصيلة، من حالة القرون الوسطى إلى العصر الحديث، وقد اعتمد في دعوته على المبادىء الدينية، وخاصة الدين الإسلامي وعلى محاربة المستعمرين، ومن أجل الحصول على الحريَّة في العالم الثالث.

وقد بعث الروح والحياة في هذا الدين وأظهر المبادىء الإسلامية الصحيحة، ولكن هذا السيد المجاهد، قد تلقى الطعنات ليس من الاستعمار فحسب، بل من المسلمين وعلمائهم.

ولكن صرخته بقيت عالية ومرتفعة، مدّة طويلة، وكلّما حاولوا إسكاتها لم يفلحوا، ومن الذين تأثروا بالسيد جمال الدين وعمل على نهجه الشيخ محمد عبده، وهو مفتي الديار المصرية وعالم من علماء الأزهر، وكان خبيراً بالشريعة ومقاصدها، ودارساً جيّداً للقانون، وقد حاول الشيخ محمد عبده تحرير الفكر من قيود التقليد، وكانت لجهوده الآثار الكبيرة في النهضة الإسلامية.

وقد نادى بالصحوة الإسلامية العالمية، وقاوم السلطات الأوروبية في مصر، أثناء احتلال الإنكليز لمصر، وشارك في مناصرة الثورة العُرابية، وقد سُجن ونُفيَ إلى الشام. ومن الرجال والقادة المسلمين الذين ساهموا في هذه النهضة، فرحات عباس قائد الثورة الجزائرية مع أن ثقافته كانت فرنسية، ولا يعرف العربية، ولكنه كان يمثل دولة في شخص.

كان يقول أن ثورة الحرية قد بدأت في شمال أفريقيا ومن ضمنها الجزائر، وهو من الذين تاثروا بالسيد جمال الدين وبالشيخ محمد عبده، وبالنهضة التي تدعو إلى الرجوع إلى القرآن.

وأول شعلة للثورة في إيران كان التأثير واضحاً وقبل ذلك نهضة الأحرار في تركيا، وفي مصر وقد حصلت ثورات في أفريقيا وفي بلدان عديدة كان سببها هذه النهضة. أما الأعداء فكان همّهم أن يلصقوا التهم والأكاذيب الملفقة، ولكن الشعوب معظمها كانت تُشخِّص طريقَ تحرُّكها.

على كل حال فإن المسألة مهمة اليوم، هناك أصول عقائدية يجب أن لا ننحرف عنها بسبب تلك التهم، فإذا صارت واضحة، سوف لن يستطيع أن يرفضها حتى الذين يضعون السُّم للآخرين.

هؤلاء الذين يريدون أن يفرِّقوا بين المثقفين والطلاب، وبين عامة الناس.

هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا الجميع يائسين بحيث لو أن شخصاً أراد أن يقدم خدمة على طريق الإسلام الصحيح فهم يوجهون له الإتهامات واللطمات، حتى لا يقدم هو أو غيره على ما أقدم عليه.

وهذا الصراع هو ليس بين أشخاص، ولكن الدفاع عن العقيدة والفكر وهو يستحق التضحيات. فإذا كنتم تريدون تشخيص هذه الأصول الاعتقادية، وحاضرين لتقوموا بالبحوث بصورة دقيقة فستكون هناك مجموعة كبيرة في مجتمعنا لها تأثيرها الكبير في هذا المجال.

الإنسان:

علينا أن نعرف أن الإنسان له ثلاثة أبعاد:

1 ـ الوعي

2 ـ الحرية والاختيار

3 ـ الإبداع

أولاً: الوعي:

إن أحد أبعاد الإنسان هو الوعي والمعرفة، وإن بين جميع الموجودات، الإنسان وحده له الاستعداد أن يمتلك الوعي والمعرفة بنفسه وبالعالم، وأكبر هذه الاستعدادات هو: القابلية لمعرفة الله.

ففي عالم الوجود، الله هو العالم بكل شيء، والإنسان أيضاً له استعداد للعلم والمعرفة بهذا الكون، ففي الحديث الشريف يقول: «**تخلَّقوا باخلاق الله**» إذن هناك صفات مشتركة بين الخالق وبين الإنسان.

ثانياً: الحريّة والاختيار:

كل ما يتحرك في هذا الكون، يدار على اساس سلسلة العلّة والمعلول، فكل ظاهرة تكون علَّة وسبب لمعلول آخر.

فمثلاً: النفط هو علّة لشعلة الإضاءة والحرارة، والإنسان المخلوق من المادة، هو علَّة أيضاً، ولكن له الإستعداد أن يتحرَّر من سلطة الجبر ويلعب دوراً.

إن جميع العمليات البيولوجية التي تجري في داخلنا كلها أمور جبريَّة، وكذلك عند الحيوانات ولكن خارج هذا الأمر الجبري للإنسان، فهو يملك استعداداً واختياراً، بحيث يستطيع أن يصوم عن الطعام مثلاً مدَّة معينة، وهذا الاستعداد ناتج عن إرادة موجودة عند الإنسان تحرّره من سلسلة عوامل العلة والمعلول الجبرية.

الإنسان يستطيع أن يظهر رغبة معينة، ويقول: اعمل أولاً اعمل، اختار أو لا اختار. وإن كان هذا الاستعداد ضعيفاً بدرجة معيّنة، فهو في نظر العلوم الطبيعية والإنسانية، ليس بإنسان.

يقول «سارتر»: إذا كان الإنسان مصاباً بالشلل منذ ولادته و مجيئه إلى هذه الدنيا فإن لم يستطع أن يصبح بطلاً فهو الذي يتحمَّل المسؤولية. لأن الإنسان يمتلك الاستعدادات الكبيرة بالرغم من إصابته بالشلل، وكذلك الإنسان الذي يتّصف بالضعف والخوف وعدم الشجاعة وهو في محيط صحي ويتناول طعاماً جيداً.

إن مسألة شجاعة أي إنسان، المسؤول عنها هو الإنسان نفسه، وليست العوامل الوراثية ولا المحيط الذي يعيش فيه، ولا العوامل الاقتصادية والتاريخية، أما الإنسان الذي يستطيع أن يقضي على كل العوامل إن كانت وراثية أو غيرها، فهو الذي يبني مستقبلة ويقرر مصيره.

الأشجار والنباتات تجف أوراقها في فصل الشتاء لأنها لا تستطيع أن تقاوم العوامل الطبيعية، أما الإنسان فإنه يستطيع أن يتحرّر من جبر الطبيعة بأساليب كثيرةو لأنه يمتلك اختياراً وإرادة وحرّية. وبهذا الدليل هو مسؤول، لأن الإنسان الحر هو من يتحمل المسؤولية.

ثالثاً: الإبداع والخلق:

الإنسان يمتلك قدرة إبداع، وقد تكون هذه الصفة هي إحدى معاني الأمانة

التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال وجميع الموجودات، فأبين أن يحملنها، وقبلها الإنسان وهي قدرة الإبداع.

إن الاستعدادات الموجود عند الإنسان هو الذي مكَّنه أن يبني بيتاً، وينسج لباساً، ثم يصنع الآلة وغيرها وهذه كلها إبداعات ونوع من الخلق. وقد وصل الإنسان إلى مرحلة، أن يصنع نفسه، ويبني إنسانيته، فهو يختار لنفسه كيف يجب أن يكون.

يقول الفيلسوف الألماني «هايدغر»: إن الناس نوعين، منهم من خضع للقوانين والعوامل الطبيعية والجبرية، فجعلتهم يتلونون بلون المجتمع الذي يعيشون فيه، وهم الأكثرية. ومنهم من صنع التاريخ والمجتمع، فهؤلاء من نوع آخر، فهم صنَّاع ومغيّرون ومؤثرون.

تعريف الإنسان:

الإنسان يمثل إرادة كاملة، ويسعى لامتلاك الفكر، وهو صاحب معرفة ذاتية عن نفسه وعن الكون، وصاحب اختيار، وهو يعبد الله بإرادة أو بدون إرادة، ومعنى أن الإنسان متعبد وعابدو ليس بأدلَّة فلسفية، بل بأدلَّة واقعية على مدى التاريخ، وفي جميع الفترات، وحتى الآن، وقد لا نرى وجود للخالق والإله في بعض الأديان، كما هو موجود عندنا، ولكن العبادة موجودة.

- العبادة أمر وجودي وأبدي دائماً، حتى إذا رفضنا وجود الخالق.
- إن العبادة، هي في أصل صفات الإنسان وتكوينه، وهو يضحي بروحه من أجل ما يعتقده.

وهناك أحاسيس أخرى موجودة عند البشر في أصل فطرتهم مثل الإحساس بالغربة فالإنسان يشعر بأنه غريب في هذا العالم ومثل الانتظار والأمل، فهوجزء من فطرة الإنسان، وهو سياسي، لأن الذي يعيش في المجتمع يشعر بأن عليه مسؤولية تجاه هذا المجتمع، لأنه مرتبط به كفرد ومجموعة أفراد لهم مصير واحد.

خلق الإنسان:

قصة خلق الإنسان موجودة في جميع الأديان بأشكال مختلفة، وقد ذكرت بالتفصيل في القرآن والتوراة. وحسب الآيات القرآنية، فإن الله أراد أن يجعل خليفة على الأرض، فيعترض الملائكة ويقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟. ويتضح من هذه الكلمة أن الملائكة يمتلكون معلومات مسبقة عن آدم، ومن المحتمل أن يكون آدم ليس الأول، بل هناك آدم مثله. والله سبحانه أجاب الملائكة، وقال لهم:

الإنسان من تراب من جانب، ومن جانب آخر هو من روح الله عزَّ وجل، وهكذا نجد أن الإنسان يتشكل من الأفضل ومن الأدنى، لذلك أن بعض الناس، هم أقذر من الحيوانات انحطاطاً وأدناها.

الأمانة:

هناك تفسيرات كثيرة للأمانة، المتصوفة يقولون أنها تعني محبة الله، وآخرون يقولون أنها تعني الإرادة، ومن هؤلاء الشاعر المولوي، وجماعة من العلماء يقولون أنها تعني المعرفة والعلم، وبعضهم يقول أنها تعني الولاية للإمام عليّ والأئمة من بعده، وقد تكون جميع هذه التفاسير صحيحة، لأن الأمانة هي أن الكثير من الإمكانات الموجودة عند الله، قد تكون موجودة عند الإنسان، مما يدل على أفضلية البشر عن باقية الموجودات.

الأمانة هي مجموع كل هذه الأمور، فهي الإرادة والاختيار، والشعور والمعرفة، والحكمة، والكثير من الأمور التي لا نعرفها نحن ومن الممكن أن تظهر وتتحقق في الإنسان فيما بعد.

وعلَّم آدم الأسماء كلها:

وقد علَّم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها، ثم جلس آدم والملائكة

للامتحان والإجابة عن معنى هذه الأسماء، واستطاع آدم أن يعطي الأجوبة، أما الملائكة فقالوا: نحن لا نعرف غير تلك الأمور التي نتذكرها ونعلمها، وقد نجح آدم وانتصر في الامتحان على الملائكة.

إذاً الإنسان أفضل من الملائكة، فإذا أراد الإنسان أن يتسامى ويرتفع إلى أعلى مرتبة من درجات الإنسانية، فإنه يصبح أهم وأفضل من الملائكة ولكن لماذا علّم الأسماء لآدم، ولم يعلّمها للملائكة؟

لأنهم مخلوقات لهم مهمّات محددة وفق ما أراد الله لهم.

طلب الخالق من الملائكة أن يسجدوا لآدم:

إن هذه الاستعدادات التي منحت للإنسان، تعني جميع القوى في الوجود، وأنه يستطيع أن يتسلّط على جميع الموجودات في هذا العالم، وسخرت لهذا الإنسان المتعال قوى ما وراء الطبيعة.

ولكن من هو هذا الإنسان؟

إنه الإنسان الكامل الذي استطاع أن يترقى ليصل إلى الدرجات العليا، ولكن ليس كل بني آدم.

ما هي الثمرة الممنوعة؟

لقد أباح الله سبحانه وتعالى لآدم وحواء كل شيء موجود في الجنَّة من أكل وشرب ولكن منعهم فقط من تناول فاكهة معيَّنة فما هي هذه الفاكهة؟

لقد أشار القرآن، وصرَّحت التوراة إلى ذلك، بالقول بأن المسألة كانت تتعلق بالرؤيا أو المشاهدة، وحسب الآيات القرآنية، فإن الله خاطب آدم وحواء وهما بدون لباس، ولم يكونا يشعرا بالخجل، ولكنهما بعد تناول الفاكهة بدءا يشعران بحالة الخجل، فهما لم يكونا يشاهدا حتى أحدهما الآخر. أي النظر كان ممنوعاً، إذن فالشجرة الممنوعة هي شجرة المشاهدة.

الإنسان عريان:

يمكننا أن نقول: إن العريان لا يعني بدون لباس، ولكن بمعنى عدم المعرفة والحقارة، ولكن عندما يدرك معاني العظمة والكبرياء فيرى نفسه عرياناً، فيستحي من نفسه.

كان آدم هكذا، لا يعرف عن نفسه ومحيطه حتى تناول تلك الفاكهة الممنوعة، فصار صاحب فهم ونظر، وأصبح يستحي من وضعه أمام الله.

هل كان الله يريد للإنسان أن يتناول الفاكهة؟

يجب أن لا نفسّر هذه المسألة، وكأنها قصَّة عاديَّة، وكأن الله لا يريد لآدم أن يأكل من الشجرة الممنوعة، وهو لا يرضى بهذا العمل، ولو أن الأمر، بهذا الشكل، لمنع الله آدم منها، ولكن الله نظّم المسألة بهذا الترتيب كي يجعل الإنسان، صاحب وجودٍ وحضور.

قصة الخلق تعتبر من أرقى وأعلى القصص في معرفة الإنسان:

على عكس ما يعتقد به أصحاب الأديان العامّة وأصحاب الثقافات التي تحمل أفكاراً ضد الدين، فهؤلاء تفكيرهم سطحي، وهم بعيدون عن المعاني والتعمق في قصَّة الخلق.

هناك حِكَم ومعانٍ ورموز وإرشادات، تعتبر من أرقى وأسمى المعارف لفهم الإنسان، ولقد روي الكثير من الخرافات عن قصة آدم وحواء، وهي موجودة في كل الأديان ولكن هذه الحقيقة بيَّنها الله تعالى في خلق آدم. فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، إن قصَّة الخلق، لم يؤمن بها الكثير من المثقفين، ولكن الثابت منها في الكتب السماوية هي حقائق مرتبطة بالإنسان، وبما يجب عليه من مسؤوليات، ومعرفة دوره وأي طريق يجب أن يسلك في هذه الحياة.

الشرك:

الشرك هو عبارة عن تعدُّد الآلهة، وهذه الآلهة يمكن أن تكون عدداً من

الأصنام أو عدداً من القوى وهذه المعبودات قسَّمت المجتمعات إلى طبقات فكل إلهٍ يمثل قبيلة معينة أو قومية تعادي القومية الأخرى، والآلهة في حالة حرب مع بعضها، وكذلك الأتباع فهم في حالة تنافس وتعصُّب عرقي. وبما أن الآلهة أزلية فإن اختلاف الطبقات هي أزلية وأبدية أيضاً. لذا هذا هو معنى الشرك على مدى التاريخ حيث كان وسيلة بيد الطبقة الحاكمة للاستفادة من صراع الطبقات العرقي والعائلي والقومي ليحكموا الناس.

أنواع الشرك:

يكون الشرك أحياناً واضحاً وظاهراً، كالذين يعتقدون بتعدد الآلهة من الأصنام والصراع مع هذا الشرك سهل، وقد حاربه رسول الله وانتصر عليه، ولكن قد يكون الشرك ديني، والصراع مع هذا الشرك صعب جداً، كما كان الحال عندما حارب الإمام عليّ الشرك الديني ولم ينتصر عليه. فجميع الأديان التوحيدية حاربوا الشرك الظاهر وانتصروا عليه، ثم جاء من بعدهم من ادّعوا التوحيد، واعتبروا أنفسهم مبلِّغين رسميين للدين، وأنهم أولياؤه والمشرفين عليه، لتصبح السيطرة والقدرة بأيديهم.

الشرك والتوحيد

وهكذا نلاحظ أن الشرك المزمن الذي يلبس ثوب الدين والتوحيد قد حصل في تاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام، فالذين حكموا باسم الكنيسة ومعابد التوحيد مارسوا الشرك تحت اسم التوحيد، ويستمر هذا العمل بالتعاون مع السلطات الحاكمة.

قاوم النبي موسى شرك فرعون، والذين جاءوا من بعده مارسوا الشرك الديني باسم (يهوه) الإله الواحد. ثم أتى المسيح ليخلِّص المعبد من سوق يُباع فيه الدين، ورُفع شعار التوحيد في الغرب، واصبح الروم والرومان يعرفون معنى التوحيد. فجاء أتباعه من بعده فجعلوا الله ثلاثة آلهة استخرجوهم من كتاب عيس المسيح ليتحول المجتمع إلى ثلاثة طبقات حاكمة، وكان الناس ضحية لصراع

مدّعي الأديان والمتسترين بالدين. وكذلك بالنسبة للإسلام، فقد حكم فترة قصيرة، وجاء من بعد ذلك من حملوا شعار التوحيد وهم مشركون قدامى، ليسيطروا ويحكموا باسم الدين والتوحيد.

التوحيد:

التوحيد هو عبارة عن نظرة كونية، تدل على وحدة الوجود، ومعنى هذه الكلمة، أن الله واحد والإرادة واحدة، وإن عبارة: (لا حول ولا قوة إلا بالله) هي شعار عميق المعنى، ولكنه تحوَّل اليوم إلى ورد من الأوراد. إن هذه العبارة تنفي أي قوة خارج إرادة الله ومشيئته. فالتوحيد يعتبر أن الله واحد والتاريخ واحد والإنسانية واحدة.

على طول التاريخ، سقط الناس ضحية الأكاذيب لأديان الشرك والطبقات الحاكمة، وكان الناس يقاومون هؤلاء بوسيلة التوحيد، وكانت أمنيتهم أن يتحقق مبدأ التوحيد، لأنه الحقيقة الكبرى التي تسود العالم، وهو البناء الأساسي للاعتقاد الذي يؤسس للوحدة البشرية والإنسانية، لذلك فإن التوحيد مسألة كبيرة جداً.

شعار التوحيد:

لم يكن شعار التوحيد مسألة كلامية أو فلسفيةو حيث يجلس بعض العلماء ويقدمون الاستدلالات على وجود الله، وكان «بلال» وحده يستطيع أن يأتي بألف دليل على وجود الله. ويقول القرآن على لسان قريش، وهي قبيلة النبي والتي حاربته، لماذا اتبعك الأرذلون أي الفقراء أصحاب الثياب الممزقة والبالية والأرجل الحافية، وكان الجواب هو: أن هؤلاء يعرفون معنى التوحيد أكثر من الفلاسفة والمفكرين والعلماء.

معظم الذين كانوا يؤمنون بالأنبياء هم من الطبقات الأكثر حرماناً في

المجتمع. وكان مجموعة من الأنبياء هم من رعاة الغنم ومن طبقة الفلاحين والرسول الأميّ كان يرتبط بتلك الطبقة، ومن يكون في هذه الطبقة، يكون نصيبه الحرمان والعذاب.

على مدى التاريخ، كان الناس نوعين طالب دنيا، وطالب آخرة. فالذي يريد الدنيا، يؤمن بالحضارة الماديَّة والذي يريد الآخرة يؤمن بالزهد إلى درجة الإيمان بالأوهام كما في الهند وفي الصين. والإسلام هو الدّين الوحيد الذي يمتلك بُعدين متساويين للإهتمام بالدنيا وبالآخرة، وبالتعادل بين هذين الإتجاهين.

الخاتمة:

المدرسة التوحيدية أو مدرسة الوحي، هي مدرسة الدين، وقد تربى في هذه المدرسة طلاب باسم (إنسان) وقد علَّمهم أساتذة مختلفون، وأخذوا بيدهم خطوة خطوة إلى الأعلى، وفي النهاية منحوهم درجة الدكتوراه، أو الاجتهاد وقالوا لهم مجتهدون والمجتهد هو من يعرف جميع العلوم، وأنتم اليوم جزء من هذه المدرسة ومعلِّميها، ويمكنكم أن تستمروا بالبحث والتحقيق، وتعطوا للعلم تكاملاً وتقدّماً. وبعد أن يتخرّج الإنسان من مدرسة الوحي فهو لا يحتاج إلى وحي جديد، ولكن كلّما زادت معلوماته، وبدون أن يأتي نبيٌّ جديد، يستطيع أن يحل المشاكل التي وجدت في الأديان السابقة فالإنسان بواسطة تلك المعلومات التي جاء بها خاتم الأنبياء والعمل بها والاجتهاد فيها يستطيع أن يمضي قدماً وأن يصل إلى طريق الكمال.

المحتويات

الدرس الأول

الدرس الأول 5

إن مسألة طرح الدين له أهميتان ودليلان: 5

واجبات المسيحي واضحة وهي: 7

عصر الإقطاعية له خصائص وهي: 8

نهاية عهد الإقطاع 8

ماذا يقول علم الاجتماع: 10

الدرس الثاني

الدرس الثاني 16

دور الدين عند الفرد والمجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا: 18

ما هي الأديان البدائية 18

عبادة الطيور: (الطوطم) 20

١ ـ ما هي الاعتقادات المشتركة بين الأديان: 22

٢ ـ الاعتقاد بالغاية النهائية للعالم: 22

٣ ـ تضاد القيم الأخلاقية (الثنيوية): 22

٤ ـ عبادة الإله والآلهة هي الاعتقاد الأساسي: 22

٥ ـ الاعتقاد بالعالم: 23
٦ ـ وجود الروح الاجتماعية للدين: 23
٧ ـ عالمية الدين: 23
٨ ـ وحدة الإنسان والطبيعة: 23
٩ ـ الإنسان لديه انجذاب نحو العالم الروحي: 24
١٠ ـ السعي نحو الكمال والقوة: 24
١١ ـ الاعتقاد الديني يجعل الإنسان مسؤول 24
١٢ ـ الإنسان ومعتقداته 24
١٣ ـ الاعتقاد بالحرب بين الحق والباطل 24
١٤ ـ سعة النظرة الكونية: 25
١٥ ـ المعرفة وحب الاطلاع: 25
١٦ ـ الرياضة الروحية: 25
١٧ ـ الحب والعبادة: 25

الدرس الثالث

الدرس الثالث 27
تعريف الدين: 28
العوامل المشتركة بين الأديان: 29
بعد ذلك سوف نوضح خصائص كل دين، ونطرحها للبحث واحداً واحداً: ... 31
الانتظار: 31
الإنسان الإلهي المُبعد: 32

الدرس الرابع

الدرس الرابع 36
الأديان في فترة الحضارة البشرية: 36
أديان الصين والهند: 36
الروح والفكر الغربي: 37
الروح والفكر الشرقي: 37
خصوصيات روح الثقافة الغربية: 38
أولاً: أصالة القدرة: 38
أصالة الحياة: 38

الدرس الخامس

الدرس الخامس 43
أديان الشرق والغرب: 43
المثقفون الشرقيون يتأثرون اليوم بالحضارة الغربية: 43
الصين والأديان البدائية: 44
الأديان المتعاقبة في الصين: 44
خصوصيات الروح الصينية هي التضاد: 44
الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية: 46
فلسفة التاريخ في الأديان قائمة على أساس التضاد: 46
الحضارة وليدة الظالم والمظلوم: 47

مصير الإنسان التائه: 48
الرجوع إلى الطاو: 49
كونفوشيوس: 50
سؤال وجواب: 50

الدرس السادس

الدرس السادس 55
هناك مرحلتان للتعليم لمعرفة الأديان: 55
البحث حول دخول الإسلام إلى إيران: 55
التحقيق حول الإسلام: 56
تحقيق كارليل حول رسول الإسلام ﷺ: 56
دخول إلى عالم الهند: 57
هجرة الآريين إلى الهند وإيران وأوروبا: 57
الحضارات الكبرى وليدة الهجرة: 58
الدين الودائي (ودا) يعتبِر أكبر الأديان في الهند: 59
البقر كبقية الرموز الأخرى: 59
الدين الودائي (ودا): 60
الدين باعث للاطمئنان: (شوبنهاور) 60
التوحيد والمعرفة الذاتية تصدر عن البصيرة في الإنسان: 60
العقل النوراني في إيران القديمة: 61
العلم والحكمة القرآنية هما نور: 62
يقول علماء الاجتماع أن المرحلة الأولى من التعليم هي طريق السمع: 62

طبقات المجتمع الهندي: 63
أكبر عمل للبراهمة هو تقديم القرابين: 63
الروحانية عند الإسلام: 64
التوحيد والشرك: 65

الدرس السابع

الدرس السابع 67
من عوامل الجمود والتخلُّف: 68
العادات والتقاليد مسحت الأفكار والكلام: 69
الإنسان: 73
أولاً: الوعي: 73
ثانياً: الحريّة والاختيار: 73
ثالثاً: الإبداع والخلق: 74
تعريف الإنسان: 75
خلق الإنسان: 76
الأمانة: 76
وعلَّم آدم الأسماء كلها: 76
طلب الخالق من الملائكة أن يسجدوا لآدم: 77
ولكن من هو هذا الإنسان؟ 77
ما هي الثمرة الممنوعة؟ 77
الإنسان عريان: 78
قصة الخلق تعتبر من أرقى وأعلى القصص في معرفة الإنسان: 78

الشرك: 78
أنواع الشرك: 79
الشرك والتوحيد 79
التوحيد: 80
شعار التوحيد: 80
الخاتمة: 81